Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ألبيرتو موراهيا

عابات المقس العاد



Bibliotheca Alexandrina
0197458

قصص ترجمها خالد الجبيلي







دعابات الطهس المار



ألبيرتم موراهيا

دعابات الطقس الحار

OEN.Y 1 G

قصص ترجمها عن الانكليزية خالد الجبيلي nverted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

- دعابات الطقس الحار
 - قصص
 - ألبرتو مورافيا
- ترجمها عن الانكليزية خالد جبيلي
 - -- غلاف نديم أدو
 - إخراج وتنضيد دار القبس
 - الطبعة الأولى 2000
 - عن دار عبد المنعم ـ ناشرون

جميع الحقوق محفوظة

حار عُدِك المنعم _ نا شرون مؤسسة ثقافية تعنى بنشر الأدب والفكر العربي والعالمي سورية - حلب - هارع القوتلي - تلفاكس 2214 512 - س.ب 6567

erted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ألبرتو مورافيا

أديب إيطالي

ولد "ألبرتو مورافيا" في "روما" ١٩٠٧ تعلم في طفولته اللغات الفرنسية والألمانية والإنكليزية وعمل في شبابه مراسلاً أجنبياً لعدة صحـــف في

مقدمة

"لندن" و"باريس" وأماكن أخرى وخلال حكم الفاتي "موسيليني" منعت كتبه. اختباً في الجبال إلى أن تحررت "إيطاليا" في أيار ١٩٤٤.

والقاعدة المنوَّه عنها هي أن يحلل الحياة حوله من النواحسي النفسية والفلسفية والاجتماعية. وبناء على هذا واجه "مورافيسا" مسن السلطة الفاشية صعوبات كثيرة إذ عُدَّت رواياته نقداً للمجتمع الذي انتعشت فيه الفاشية في "إيطاليا" وكانت قصته مع هذه السلطة ، قصية الكاتب الحر الذي رفض بذل مواهبه للفاشيين ، وأن يسير في ركابها بسل أصر أن يضيف إلى الأدب الإيطالي ثروة حديدة تجعله يساير آداب الدول الأوروبيسة

الأخرى وحاوز بذلك كل ما برجو إذ اسنطاع أن يسير بالأدب الإيطـــالي جنباً إلى حنب مع الأدبين الفرسي والإنكلـــيزي اللذيــن كــانت كــلُّ الظروف تساعدهما على الانطلاق الحر، وخاصة بعد قيام الحــرب الكونيــة النانـة.

نال "مورافيا" أكبر حائزة إيطالية عام ١٩٤٥ عن روايته "أحوسنينو" أو "الخطيئة الأولى" ويرى بعض النفاد أن هذه الرواية تنساولت بصراحة ظاهرة التطور في المجتمع الإيطالي. ولم يتزلق "مورافيا" في قصصه ورواياتسه هذه إلى الابتذال، وإنما هو محلّلٌ نفسيٌّ ثاقبُ الملاحظة يتصدّى لعسلاج موضوعات شائكة كان يتهرَّب منها كتير من الكتّاب.

في مجموعتنا القصصبة هذه "دعامات الطقس الحار" نرى أنه يصورً الحياة ويحلّل نواحيها النفسية والاجتماعية حيث يرى في هذه الحالات غبر ما نرى فيركّز عليها ويتعمّق في فسهم شخصيالها وينطقها كأنها أنساس حقيقيون من هذا المحتمع ويترك مهمة علاجها لأصحاب هذا العلمية ليمسقح تخصّصوا في تلك النواحي . فهو كالعالم الذي يرتاد الميادين العلمية ليمسهد السبيل إلى المخترعين.

وغنيٌّ عن البيان أن هذه النصوص التي تتضمنها المجموعة يربط بيمها في الحياة والأسرة والنفس البسربة حيث يأخذ بها الكاتب مصعِّداً إلى البسطة الواقعية غير المعقدة بعبداً عن الهاوبة.

ومما يكاد يُجْمِعُ عليه كتير من النقّاد المنصفين ، أن مؤلفات "مورافيا" ستظل مورداً ثراً يمدُّ الأدبَ الابطاليَّ المعاصرَ والعالميَّ بما كان يفتقده ، أعــــني بالقصة والرواية التي تحلّلُ الأخلاف والسلوك والطبـــــاع والنفـــس ، وبـــهذا

اكتسب شهرةً عالميةً ، جعلته بفوز ىنقدبرٍ كبيرٍ جعل مؤلفاتِـــه تُـــتَرْحَمُ إلى معظم اللغات الحيَّةِ ومنها العربية.

وقد آثرت دار عبد المنعم - نــاشرون - حــين احتــارت قصصــاً "لمورافيا" - أن تكون ملائمةً للذوق العربي ومقاربةً لجوِّه وحياة أفراده.

وستلمس عزيزي القارئ ذلك في أكثر قصص هذه المجموعة فهي تكاد تكون عربيةً لولا الأسماء الأحسبة لأبطالها.

ويسرُّنا أننا قدمنا إليك باقةً من أدب ''ألبرتو مورافيا'' مترجمةً ترجمــــةً كاملةً وأمينةً وممتعةً.

الناشــــــار



المشي خلال النوم

يعرف الجميع أن زوجي لا يعمل شيئا، في حين أقوم أنا بعمل كل شيء. لكني أجانب الحقيقة إن قلت إن زوجي لا يعمل شيئا. فهو يعمل أشياء كثيرة جداً. بل إنه أكثر الرجال لذين عرفتهم في حياتي انشغالا وانهماكاً. لكنه مشغول بماذا؟ إنه مشغول، على الدوام، برسم الخطط لاصطياد النساء. إنه باختصار منهمك في خداعي. هل يمكن لامرئ أن يتصور أن إقامة علاقات غرامية مع عدة نساء في آن وأحد: إذ كان على علاقة بثمانية منهن في الأونة الأخيرة يعني أنه لا يعلى شيئا؟ إن من يقر بذلك لا يعرف تماما ماذا تعني إقامة علاقات غرامية، حتى لو اقتصر الأمر على التفكير دائما في خداعي، وتحايله لإخفاء هذه العلاقات عني، وعن النساء أمره، ويتعتب معهن علاقات غرامية، كبي لا يُفتضر المره، ويتعتب معهن علاقات غرامية، كبي لا يُفتضرح أمره، ويتعتب معهن علاقات غرامية، كبي لا يُفتضرح أمره، ويتعتب معهن علاقات فراغه، بل حتى لو حسرم أحفانه من وقته، حتى لو كان وقت فراغه، بل حتى لو حسرم أجفانه من النوم.

لقد احتملت خياناته لي خلال السنوات الخمس الأولى من زواجنا، لكني قررت اخيراً أن انتقام منه، وعلى الرغم من أنه كان بوسعي، في كلل حال حال، أن أطلب الانفصال بشكل رسمي، إلا أن عيبا واحداً يتملكنا كان يَحُولُ دون ذلك. فقد كنت أحبه، وكلما خانني أكثر، ازداد حبي له اضطراما. وما دمت غير قادرة على الانفصال عنه بسبب حبى له، شرعت أفكر بطريقة غريبة كي أنتقم بسبب حبى له، شرعت أفكر بطريقة غريبة كي أنتقام

منه. باختصار: قررت أن أقتل زوجي.

من عاداتي الغريبة المشتى وقت النوم. ففي أغلب الأحيان، أنهض ليلا من سريري، أنحني قليلا، وقد غشى وجهي شحوب مميت، وعيناي الكليلتان تحدقان، وقد تتاثر شعري الأجعد على كتفي، أرفع يدي وأمسك المشلح وأباعد طرفيه واسعا، وأبدأ السير في أرجاء البيت. ويعلم زوجي وخادمأتنا "لينا" بهذه العادة، ويحرصان على عدم إيقاظي.

وفي العادة اطوف أرجاء البيست، وأجسول في الغرف وأفتح الأدراج ، فأخرج منها الأشياء وأبعثر ها. كما أني أتحاشى دائما الارتطام بقطع الأتساث بشكل يثير الدهشة، ثم أقفِلُ عائدة إلى سريري. كما أن بعض الجيران على علم بهذه العادة، فقد خرجت في إحدى الليالي من البيت وقرعت جرس الشقة المجاورة لنا.

وكما هو معروف، يمكن للإنسان الذي يسير في نومسه أن يؤدي أشياء بالغة الدقة والتعقيد في نومه، والتسي تتطلب منه مهارة ووعيا فائقين لو كان مستيقظاً. وفي الواقع، فإن الشخص الذي يسير في نومه، يشبه الممثل الذي يودي دوره على خشبة المسرح، فيتقمص الشخصية التي يمثلها، حيث تتملكه في هذه الحالة، مواهب فائقة، وتكبت مواهب أخرى. كما أن الحلم الذي يحلمه والتمثيل في حالة الممثل يشحذ أحاسيسه، ويجعل حركاته في حالة الممثل يشحذ أحاسيسه، ويجعل حركاته بقيقة ومعصومة عن الخطاء لذلك، خططت بالتظاهر بالمشي وقت النوم؛ وبدلاً من القيام بالأشياء التي أجريها على عادتي، مثل تحريك الكراسي، وفتح الأبواب، والعبث في الأدراج ، سأقوم بكل بساطة بقتل زوجي بإطلاق في الأدراج ، سأقوم بكل بساطة بقتل زوجي بإطلاق النار عليه من المسدس. إذ يمكن للسائر في نومه أن يفعل

أيَّ شيء: وفي جميع الأحوال، فإن إطلاق النار من مسدس أسهل من السير بين الأفاريز بيدين ممدودتين، وكأن شيئا لم يكن، ساعود إلى سريري في غرفتي لأجد نفسي، عندما أفيق في صباح اليوم التالي، أرملة، فتنتابني حالة من الياس والحزن يستهل تصديقهماً.

قررت أن أنقَّذ خطتي بسرعة. وفي مساء اليوم المحدَّد، (إذ ادَّعى أنه سيتناول طعام العشاء مع عدد من زملائه الذين تخرَّجوا معه في الكليسة نفسها، وأكد عدم وجود أي عنصر نسائي)، بالرغم من أني كنست واثقلة من أنسه في صحبة احدى خليلاته. بعد العشاء، أمضيت أربع ساعات في غرفة الجلوس، أَدَخِّن وأشاهد النتلفزيون وأتصقَّح الجرائــــدّ و المجلات. انتابني شعور بالتوتر، وسرى الخَدَر في جسمى. كان رأسى خاويا من أيَّةِ فكرة: لعلني كنت أمر فسي إحدى حالات السير في النوم. عاد زوجي عند الساعة الواحدة، وإمعاناً في إهانتّي، لم يُكلِّفْ نفسه عناءَ القاء أية نظرة إلى غرفة الجلوس ليلقي على التحية ويقبلني قُبْلة النوم. بل اتجـــه مباشرة إلى غرفة نومه، وأوصد الباب. هرعت إلى غرفتي. فخلعت ثيابي، واستلقيت على السرير، وأمضيت أربع ساعات أخرى أدَخِّن في الظلام. ومن الغرابة أن المرء لا يجد متعة في التدخين إذا لم يشاهد الدخان وهو يتصــاعد دوائسر في سماء الغرفة.

وعند الساعة الخامسة، كما كنت قد حدّدت مسبقا، نهضت من السرير. فنزعت قميص النوم، ثم تلقّحت بالمشلح. وهذا ما كنت أفعله كما يبدو عندما كانت تتتابني إحدى حالات السير وقت النوم. إلا أنني هذه المرة، توجّست في نفسي خيقة. لأني كنت أشعر بثقل مسدس زوجي، الذي أخذته ذلك اليوم من

الخزانة التي يحتفظ به فيها، في قعر جيبي، انتابتني حالة من التردد، غير أن إرادة قوية، كتلك الإرادة التي تدفع الممثل وهو يهم بدخول خشبة المسرح، دفعتني، توجّهت نحو الباب، فتحته ومشيت في الممر، لم يكن ممرا بكل معني الكلمة. فقد كان ممرا ضيقا تحقّه الخزائن والرفوف المكتظّة بالكتب من الجانبين، ونحت الضوء الخافت الصادر عن مصباح أو مصباحين، اندفعت إلى الأمام متشنّجة مثل تمثال ممن المرمر، ورحت أتهادى وأنا ممثلئة فخرا، وعيناي تُحدّقان، وشعري الأشعث يتطاير، أمسكت بكلتا يدي طرفي المشلصح، وقدته تماما، ودفعت صدري إلى الأمام، وراسي إلى الخلف، بهذه الطريقة، كنت أسير في نومي، كما ذكر لي زوجي و "لبنا" مرات عديدة.

أخذت اتقدم خطوة حتى وصلت إلى نهاية الممر، حيب كانت تقع غرفة نوم خادمتنا "لينا". وهي امرأة سلافية، فارعة، نحيفة، متقدمة في العمر، إذ أردت أن تراني كي تكون شاهدة من طرفي، أدرت مقبض الباب ببطع شديد. فتحته ورحت أجيل النظر داخل الغرفة. كنت أقصف أمام الغرفة متشنجة أشبه بالموتى.

كانت مفاجأة كبيرة بانتظاري. فمن خلل الضوء المنبعث من الممر، رأيت سرير "لينا" مجعداً وخالياً. وكانت الأغطية مرمية على أحد طرفيه، كان "لينا" "لينا" قد غادرت الفراش منذ مدة قصيرة. ولسبب لا أدري كنهه، اعتراني شعور مفاجئ بالشك أن جزءاً من خطتي قد باء بالإخفاق.

غذذت خطاي وجسدي متشنج كأنني إنسان آلي، القيت نظرة إلى الحمام الذي تستخدمه "لينا" ثم الحمام المخصص لنا. فلم أجد أحداً. تساءلت أين

يمكن أن تكون قد ذهبت في الساعة الخامسة صباحاً؟! استمر شكي أن الحقيقة يشوبها خطأ غامض. لكني عزمت على المضي في تنفيذ خطتي دون شهادة "لينا". عاودت السير في الممر، وقمت بنفس الحركات التي كنت أنفذها خلال سيري في نومي: توقفت. سحبت كتابا من الرف بشكل عشوائي. فتحته تظاهرت بقراءته، ثم أعدته إلى مكانه. عملت كل ذلك أملاً بان يراني أحد (ولكن من؟).

اقتربت من باب غرفة زوجي. أدرت المقبض بحذر فتحت الباب تطلعت إلى الداخل انتابني الذعر عندما وقعت عيناي على "لينا"، "لينا" التي لم أجدها في غرفتها، والتي على الرغم من تقدّمها في السنّ كانت مفعمة بالنشاط والحيوية. كانت هناك مستلقية على سرير زوجي، وكان ظهرها العاري ذو العظام الناتئة، ورأسها المكسو بالشعر الأصفر الأجعد متجها نحو الباب. كانت تتكئ على احد كوعيها، ترمق زوجي بسعادة بالغة. أما زوجي، فقد كان مستلقيا على ظهره، وقد اسند رأسه على المخدة. كان صدره عاريا من دون غطاء.

مرة أخرى شعرت أن ثمَّة خطأ يعتري خطتي، فلم يكن في حُسباني أن أرى منا أراه الآن، كمنا لم يكن بالإمكان التنبُّرُ بما حدث، بَيْدَ أنه لنم يكن أمنامي الوقت الكافي لتمحيص هذا الشعور المزعج.

خيانة زوجي الجديدة، التي يصعب تصديقها، مع خادمتنا. مع امرأة يمكن اعتبارها واحدة من أفراد الأسرة. إنسان قد أوليت ثقتي المطلقة، وكنت أتصور أنه يتعاطف معي. كيان لا بد من إنزال العقوبة لهذه الخيانة الضارية التي لا يمكن احتمالها.

أمسكت المسدس القابع في قعر جيبي. أخرجتـــه ببــطء وصوبته نحو السرير. ثم أفقت.

كنت أقف إزاء النافذة، متكئية بمرفقي على حافة النافذة، أجيل النظر في الحديقة. كانت تبدو أمامي شجرة لبلاب تغطي الجدار وكان بإمكاني رؤية إحدى زوايا الحديقة، بسبب الضوء المنبعث من مصباح الشارع، مقعد مرمري حال لوئية إلى السواد بفعل الشجيرات الرطبة المحيطة به، والحوض ذو النافورة، وهي تبت الماء المندفع من فرجة في صخرة اصطناعية فيرتفع في الهواء كشريط رفيع جدا، وقد انعكس عليه الضوء. في الهواء كشريط رفيع جدا، وقد انعكس عليه الضوء. أكثر لحظات الليل هدوءاً وسيكينة. ولو لم أكنن أسمع أكثر لحظات الليل هدوءاً وسيكينة. ولو لم أكنن أسمع صوت النافورة، لظننت أني أحلم، سيرت في جسدي قشعريرة، عندما هبيت نسمات باردة، فشددت المشلح حول صدري، وعلى حين فجاة تبينيت أنيه لم يكن في جيبي مسدس.

كان واضحا أن نوبة السير في النوم قد انتابتني. ففي نومي، نهضت عن السرير. توجهت إلى النافذة. فتحت النوافذ، ورحت أنظر إلى الخارج. لكن ماذا عن الخطة التي أعددتها لقتل زوجي، وأنا أتظاهر بالسير في نومي؟ لا بد أن ذلك لسم يكن سوى حلم داخل حلم. فقد حَلَّمْتُ أنني أتظاهر أني أحله، وأني أسير في أرجاء البيت، كما لو كنت في حُلْمٍ. غير أن شيئا ما خلال حُلْمِي، جعلني أدرك أني لم أكن أتظاهر أنيي أحلم. لقد كنت أحلم فعلا. ولكن بماذا أحلم؟ بالعلاقة الغرامية الني لا يمكن تصديقها بين زوجي و "لينا". الوهم المجنون، الغيرة التي تتملكني.

إلا أنه لا يوَّجد ثمَّة شيءٌ مؤكد. فقد خطر لي أن زوجي

قد وصل في خلاعته إلى حد إقامة علاقة مع خادمة متقدمة في السن. لعلي اطلقت النار عليه بالمسدس، ولعلي رميث بعد أن أطلقت النار عليه.

عدت إلى غرفتي. واستيقظت أخيراً. مَــنْ بوسـعه أن يقول الحقيقة؟ إن الخلط بيـن الغـيرة والسـير فـي النـوم، والأوهام التي راودتنـي لـم تــترك مجـالاً لأن أنبـذ هـذا الاحتمال. اعتراني الخـوف الآن، وخشيـت أن أبتعـد عـن النافذة كي اتأكّد من حقيقة ما جرى. تســمَّرْتُ فـي مكاني، وأنا لا أزال أتكئ على حافة النافذة، وأنطلـع إلـى الحديقـة. لعلى كنت احلمُ ولمَّا أستيقظُ بعد.



زوجتي لا تقول لا أبداً

كي أعطيكم صورة واضحة عسن شخصية "أديسل"، سأروي لكم ما حدث في ليلة زفافنا: فبعد انتهاء حفلة العشاء التي أقمناها فسي أحد المطاعم فسي "تريستفر"، وبعد تبادل الأنخاب والأمنيات الطيبة، وإلقاء القصائد؛ وبعد المعانقات وذرف الدموع من قِبَل حماتي، انطلقنا إلى منزلنا في شارع "ديل أنيما". ها قد أصبحنا الآن زوجا وزوجة، وكان قد اعترانا شيء من الخجل وسرعان ما بدأت أخلع سترتى حالما دلفنا إلى غرفة النوم.

وفيما كنت أعلقها على ظُهر الكرسي، قلت لها "أكسر الجليد بيننا" إن ذلك يجلب الحظ... "هل لاحظت؟ لقد كنا ثلاثة عشر شخصا على الطاولة. كانت "أديل" قد انتهت من خلع حذائها الجديد الذي سبب الما لقدميها، ووقفت أمام المرآة تتطلع إلى صورتها المنعكسة. أجابت على الفور بطريقة تتم عن السرور، كما لو أن ما قلته قد أزال خجلها فوراً: "لا.. يا "جينو".. كنا اثني عشر.. عشرة ضيوف ونحن الاثنان... وهذا يعني إننا كنا أثنى عشر".

كنتُ قد أحصيت عدد المدعوين عندما كنا في المطعم كي أعرف عدد الطلبات بدقة وكان عددهم ثلاثة عشر شخصاً، وهذا ما جعلني أقول "للودوفيكو"، أحد الشهود الأربعة على زواجنا، "إنه يوجد ثلاثة عشر شخصاً،

وآمل ألا يكون ذلك فألا سيئا" فأجابني: "لا، أبدأ، على العكس، فإن ذلك يجلب الحظ السعيد".

جلست على حاقة السرير ورحت أخلع بنطالي، وأجبتها بهدوء شديد: "أنت مخطئة... فقد كان هناك ثلاثة عشر مدعوأ.. وقد تنبّهن إلى ذلك تماما، ولفت انتباه "لودوفيكو" إلى ذلك". لم تحر "أديل" جوابا في لحظتها، لأن رأسها ونصف جسدها كانا عالقين داخل ثوبها الذي كانت تخلعه، وهي تشده إلى الأعلى.

ولكن ما أن فرغت من ذلك، قسالت دون أن تنتظر لحظة واحدةً لتستعيد أنفاسها: "لقد عددت بشكل خاطئ... فقد كنا ثلاثة عشر في الشارع ولكن عندما ذهب "ميو" أصبحنا اثني عشر". كنت قد أصبحت الآن في سروالي الداخلي، ولا أعرف ليم انتابني غضب مفاجئ، فصحت في وجهها "تبا لك وللاثني عشر... وما دخل "ميو" في كلّ هذا؟؟... أقول لك: إني عددت جميع المدعوين إلى الحفلة". فقالت وهي تتجه نحو الخزانة لتعلّق ثوبها: "هذا كل يعني أنك عندما عددتهم، كنت قد شربت حتى ثملت... هذا كل ما في الأمر".

"ماذا تعنين _ شربت حتى ثملت َ _؟ فأنا لم أشرب سوى كأسين فقط". فأجابت: "في جميع الأحوال، كان في الحفلة اثنا عشر شخصا، وأنت لا تذكر ذلك، لأنك كنيت سيكران، وإن ذاكرتك تخدعك". "من كان سكران؟ ... ماذا تعنين عشر" "ثلاثي كنا ثلاثة عشر". فردّت: "أقول لك إننا كنا اثني عشر" "ثلاثي عشر". "عشر".

كنا الأن نقف وجها لوجه، وفي وسط الغرفة أنـــا فــي سروالي الداخلي، وهي في تنورتها الداخليــة. أمسكتها مــن ذراعها وصحت في وجهها "ثلاثة عشر" إلا أني غيَّرْتُ رأيــي

على الفور، ورحت أدمدم وأنا أحاول أن أضمّها إلى "ثلاثة عشر أو اثنا عشر ... ماذا يهم... أعطني قبله الآن". ألقت بنفسها على السرير، ولم تمانع في منحي القبلة، إلا أنه ما أن قاربت شفتاي شفتيها حتى همست: "نعم ولكننا كنا اثني عشر". وتبت وقفا على قدمي وابتعدت عنها. وقفت في وسط الغرفة وصحت "إنها لبداية سيّئة... إنك زوجتي ويجب عليك أن تطيعيني. فإذا قلت لك: إننا كنا ثلاثة عشر، فهذا يعني أننا كنا ثلاثة عشر، ويجب عليك ألا تعارضيني". عندها نهضت عن السرير، وصاحت بصوت حادً:" وأنا زوجتك، أو على الأصح مكذا سأكون... لكننا كنا اثني عشر". "خذي إذن، كنا ثلاثة عشر" وهكذا صفعتها على خدها أول صفعة، ويا لها من صفعة رنانة.

بدا لوهلة أن "أديا" أصابها الذهول، شم هُرعت نحو باب غرفة الجلوس، قدَّدت و وقفت هناك وراحت تصرخ: "كنا اثني عشر ... دعني وشأني الآن ... إنك تشير اشمئز ازي". واختفت وراء الباب، بعد هنيهة من الدهشة مما حدث، تُبت إلى رشدي، والله الله نحو الباب، مما حدث، تُبت الله ولكن لم يند عنها صوت صحت واحد. وكانت النتيجة أنني أمضيت ليلة زفافي وحيدا، أغفو وأفيق، وأنا مستلق على السرير مرتديا نصف أغفو وأظن أنها فعلت الشيء نفسه، ونامت على الأريكة في غرفة الجلوس.

وفي اليوم التالي اتَّفقنا على الذهاب لزيارة أمها، وهناك سألتها عن عدد الأشخاص الذين كانوا في الحفلة، فتبيَّنَ أننا كنا أربعة عشر، وكان هناك صبيًان أمضيا معظم وقتيهما يلعبان تحت الطاولة. فعندما أحصيت عدد المدعوين، كان أحد الصبيَّيْن تحت الطاولة، وعندما

عَدَّتُهم :أديل" كان الصبيَّان قد اختفيا. وهكذا كان كلانا محقاً، غير أن "أديل" كانت مخطئة زوجة.

حدثت بعد ذلك أمور وأشياء لا حصر لها، أظهرت فيها "أديل" ذلك الجسانب المشاكس من شخصيتها، فقد كانت مغرمة إلى حد الهوس بالجدال حول أي شيء وإن كان تافها، فإذا قلت لها: "أبيض" قالت: "أسود"، ولسم تسلم، ولم تعترف قط أنها كانت مخطئة. وإذا أردت أن أسرد هذه القصص، فلن تنتهي: فعلى سبيل المثال، أصرت في أحد الأيام أنها لم تتلق مصروف البيت، وبعد جدال دام ما يقرب من أربع وعشرين ساعة دون توقف أو ملل، وجدت النقود مركونة على حافة النافذة الصغيرة في المغسلة تتنسم الهواء العليل.

وعلى كلِّ حال فقد استمرَّ النقاش لأنها أصرت على أني أنا الذي ركن النقود على حافة النافذة، في حين أثبيتُ لها، بإيراد عدد من الوقائع والإثباتات، بأن ذلك كان من ضرب المستحيل، وأنها ذهبت إلى تلك البقعة الصغيرة المظلمة، بعد أن أخذت منى النقود وليس قبلها.

أو في تلك المرة، عندما أصرات بعنادها المعهود علي الله "السندور" النادل في المقهى المقابل لبيتانا، لديه أربعة أطفال، في حين كنت متأكداً أنه كان لديه ثلاثة أطفال. ورحنا نتجادل مدة أسبوع كامل لأن النادل كان في إجازة، وعندما عاد اكتشفنا أنه كان لديه ثلاثة أطفال عندما بدأنا الجدال، وأصبح لديه أربعة الآن بعد أن حَظِيَ بمولودٍ جديدٍ. وبالطبع، فقد كان ذلك أمراً في غاية السخافة.

وكما يحدث عادة في مثل هـذه الأمـور، كنـت فـي بعض الأحيان على صواب، وفـي أحيان أخـرى، كـانت هي على صواب. إلا أن الشـيء الـذي حـاولت عبثـاً أن

أفهمها إياه، هو أنه ليس من المهم أن يكون المسرء مصيبا، إلا أن ولعها في الجدال حسول أي شسيء وإن كان تافها، سيؤدي إلى تدمير كل شيء في حياتنا. غير أنها كانت تجيب على ذلك: "إنك لا تريد زوجة بل خادمة". وهكذا أصبحت علاقتنا، نتيجة جدالها المستمر، مشحونة ومتوترة، وكنت كلما هممت أن أقول شيئا لها حول موضوع لا يقبل الجدل مثل "إن اليوم مشمس" يجتاحني الغضب عندما يخطر لي أنها ستعارضني؛ وبالفعل، كانت تقول رداً على نلك ودون تردد "أه... لا يا "جينو"... فالشمس ليست مشرقة اليوم بل إن السماء يا "جينو"... فأخذ قبعتي، وأندف عارجاً من البيت ملبدة بالغيوم". فأخذ قبعتي، وأندف عالمرى أستمع إليها فسأنفجر غضبا.

ذات يوم، وبينما كنت أسير في شارع "ريبيت" التقيت "بجوليا" الفتاة التي كنت أغازلها قبل أن أتعرف "بأديلا" بمدة وجيزة. غير أني كنت قد سئمت منها بسرعة لأنها لميم تكن تتمتع بشخصية مستقلة، فكانت توافقني على كل شيء أقوله لها، ولم تقل مطلقاً إني كنت مخطئاً، حتى عندما كان بوسعاعمى أن يجدنى مخطئاً.

أما الآن، وبعد أن تزوجت من امرأة تتمتع بشخصية مستقلة ونعمت بذلك، شعرت بالندم لأني لم أتروج "جوليا" التي كانت تقطر رقة وحلاوة، وانتابني شعور" عميق بالندم لأني قضلت "أديل" عليها. غمر ثني سعادة كبيرة عندما التقيئها هذا الصباح، لا لشيء إلا لأنها تختلف في شخصيتها عن شخصية "أديل". وعندما حاولت توديعي بحجة الذهاب إلى السوق، طلبت منها البقاء قليلا والتحدث كي أحظيى بمتعة رؤيتها وهي توافقني على كل شيء. كانت لا تزال جميلة، ولم

تعارضني قط. وكي أختبرها قلت لها: "ألا تشعرين بالندم لأنك عاملتني بهذه الدرجة من السوء؟ هل أدركت أني أفضل مسن كثير من الرجال؟؟ أخبريني، لماذا لم ترغبي في الزواج مني؟" علما أني على يقين من أن ذلك لم يكن صحيحاً. فقد كنت أنسا الذي تركّثها، وقلت لها أنئذ: "إني لا أعبا بالنساء الطيّعات جداً من أمثالها". لكني وددت أن أسمع ردها علسى هذه الإدانة الكاذبة المجحفة. عندما سمعتني المسكينة، وأنا أقول لها ذلك، فغرت فمها من الدهشة.

من المؤكّد أنها كانت تريد أن تسرد أنسي أنا السذي عاملها بغاية السوء ـ وهذا صحيح ـ وأني أنا الذي هجرها. بَيْدَ أنها كشف ت عن حقيقة شخصيتها وقالت بصوتها العذب الرخيم: "تجينو"... لا بد أنه كان ثمَّة سوءُ تفاهم... لقد كنت مغرمة بك، ولو كــــان الأمــر بيــدي لما تركتك أبدا". وستلاحظون أنسها لـم توجـه لـي اللـوم لأني كذبت عليها، كما كانت ستفعل "أديسل"، بل أخذت تحاول تبرئة نفسها، وكي تدخل السرور الى نفسي، أقررت أن جزءاً من ذلك الخطأ ربما كان يقع على. أطلقت ضمحكة مشوبة بالمرارة عندما تذكرت الحماقة التي أرتكبتسها إذ فضَّلْتُ "أديل"عليها... ثم قلت لــها وأنا أداعب خدها الأسيل: "أعرف أن الخطأ يقع عليَّ بالكامل، ولسوء الحظ لم يكن ثمة سوء تفاهم... إن الخطا بأكمله يقع على كاهلي... لقد قلت لك ذلك دون أن أعنى ما أقول... بل لأرى كيف سبكون ردك"، داعبت خدها ثانية، فاكتسى وجهها بالحمرة من البهجة، وابتعدت مسرعا. غير أنني قبــل أن أنعطف عند ناصية الشارع، التفتُّ إلى الدوراء. كانت ما تزال واقفة هناك على الرصيف وحقيبتها تتدلعي من يدها وهي تحدِّق بي، وقد ملأتها الدهشة والحيرة.

في أو اخر أيار تقريباً، ذهبت أنا و "أديل" إلى "فريجسن" كي نسبح. كان الشاطئ مهجوراً، وكانت الهيماء زرقاء صافية، والشمس متألقة تبهر الأبصار بأشعتها، لكن الرياح كانت تهب بقوة على مستوى منخفض. رياح قوية لاسعة، محملة بحبات الرمل. وكانت الأمواج قرب الشاطئ تهدر بقوة، أمواج زرقاء وبيضاء تعلو فوق بعضها بعضاً، وتتصادم ثم تتلاشى، وكان الزبد الأبيض يتناثر على بعد مسافة قلبلة داخل البحر.

قالت "أديل" إنسها ترغب في القيام برحلة في القارب، بالرغم من أن البحر لم يكن رائقاً، بل في حالة هياج، وكي لا أرفض طلبها، وأسمع ما لابد مسن سماعه من أن البحر هادئ ولطيف جداً، استأجرت على الفور قارباً. كنت أرتدي لباس السباحة بينما كانت "أديل" ترتدي ثيابها كاملة. وخشية الدخول معها في جدال عقيم، لم أطلب منها أن تخلع ثيابها. دفعنا المشرف قليلا في الماء. ورحت أجدتف بقوة بكلتا يدي فوق الأمواج الهادرة، وما إن ابتعدنا قليلا في الماء حتى بدأت أجدتف ببطء وسهولة أكثر فقد كنت أحرص على مواجهة الأمواج من مقدمتها، لأني إذا لم أفعل ذلك فمن المحتمل أن ينقلب بنا القارب.

كانت "أديل" تجلس في مقدمة القارب، تعلو وتهبط مع حركة الأمواج وعلى حين غِرَّة، عندما تطلعت إليها ورأيت أنها ترتدي ثيابها كاملة، وتذكرت أني لم أجرو على نصحها بخلعها، وارتداء لباس السباحة اعتراني الغضب، واجتاحتني رغبة في أن أخبر ها بأني التقيت "بجوليا". وفيما كنت أجدف، أخذت أحكي لها كيف أنسى أردت أن أختبر شخصية "جوليا"، وكيف أنسها أنسى أردت أن أختبر شخصية "جوليا"، وكيف أنها

لم تعارضني. أصغت "أديك" بينما كان القارب يعلو ويهبط مع الأمواج العاتية، وفي النهاية قالت بهدوء: "أنت مخطئ، إذ أن الخطأ يقع بكامله على عاتقالها... فهي التي تركتك".

أحكمت قبضتي بقوة على المجدافين لمواجهة موجة كبيرة جدا، وأجبتها بغضب: "ومسن قال لك إنسي أود أن أعرف؟ ... أنا الذي أفهمها ذات مساء أنه لم تعد لي رغبة بها... حتى إني أذكر المكان جيداً ... فقد كنا في "لنغتيفر". كان شعر "أديل" يتطاير في الهواء، وأجابت وفي صوتها نبرة خبيثة: "كالعادة، فأنت لا تذكر جيداً... فهي التي هجرتك... لقد قالت: إن من طبعك حب الشجار والخصام، وهذا صحيح تماماً، وأنها لم تكن تشعير أنه بإمكانها أن تعيش معك".

- _ لكن من أخبرك بذلك؟
- ــ هي التي قالت لي بعد بضعة أيام من زواجنا.
- ــ هذاً ليس صحيحاً. لقد قالت لك ذلك لتداري خيبتــها، تعرفين قصة الثعلب والعنب الحامض.
- ــ هي التي فعلت ذلك يا "جينو". لا تكن عنيـــدا، وقــد أكدت لى أمها ذلك.
 - _ أقول لك إن هذا غير صحيح... فأنا الذي تركها.
 - ــ لا ... هي.

لا أعرف كيسف تملكنسي الشيطان وقتئد ... فقد كنت أحتمسل أن تعارضني في أي شيء سوى هذا الأمر. وأخال أن كبريائي الرجولسي قد استحوذ علي تركت المجدافيسن ووثبت واقفا على قدمسي، ورحت أصرخ: "أنا الذي تركتها... أقول لك ذلك وكفي... ولا أريد أن أسمع المزيد من الجسدال حول هذا الموضوع،

وأقسم أنه إذا تفوهت بكلمة أخسرى فسأضربك بالمجداف على رأسك".

_ جَرِّب فقط ... إن غضبك لـــهو دليــل علــى أنــك مخطئ... إنك تعرف تماماً أنها هي التي تركتك.

_ لا ... أنا الذي تركها.

كنت واقفا الآن في منتصف القارب، وكنت أصيح _ كي تسمع صوت _ وكال هدير الأمرواج _ وكال القارب يعلو ويهبط. وعندما تركت المجدافين، أخذ القارب يميل جانباً.

أذكر أن "أديل" استوت واقفة كذلك، وراحت تصيح في وجهي: "هي"، وكسانت تضع راحتيها حول فمها، وكأنهما مكبر للصوت. في تلك اللحظة، ارتفحد جدار هائل من المساء، أخضر شفاف كالزجاج، يعلوه زبد أبيض، علت فوقنا ثم انثالت الأمواج داخل القارب وغمرتنا.

وجدت نفسي ملقى خارج القارب، وبقدرة قدر الم ينقلب القارب. غصت على الفور إلى الأسفل، وشعرت بالمياه الهائجة تشدني من قدمي نحو الأسفل. غصت إلى القعر، وابتلعت قدراً من الماء، ثم عدت أطفو إلى السطح ثانية، وأنا أصارع التيار وأنادي "أديل". عندما تطلعت حولي وجدت أن القارب أخذ يبتعد عني، وأنه كان خاويا، ولم تكن ثمة دلائل تدل على وجود "أديل" عليه. ناديت اسمها ثانية، ورحت أسبح باتجاه القارب فعله.

كان ألقارب يبتعد أكثر وأكثر مع ضربات الأمواج المتلاحقة، وفي كل مرة كنت أنادي فيها "أديل" كان الماء يملأ فمى. وقلت إن من العبث متابعة القارب بعدد

أن أيقنت ان "أديك" لم تكن فيه. واستسلمت أخيراً، ورحت أسبح بشكل دائري بحثاً عن "أديك". إلا أني لم أجد أثرا لها، ولم أكن أرى سوى الأمواج، وهي تلاحق بعضها بعضاً باتجاه الشاطئ.

بدأت قوتي تخور، واعتراني شعور بالخوف من الغرق فأخذت أسبح نحو الشاطئ. ولم تمض مدَّة طويلة حتى أحسست أنَّ قدمي تلامسان قعر البحر، على الرغم من ابتعادي عن الشاطئ. وقفت ورحت أصرخ.

وما هي إلا دقائق حتى شاهدت قاربا يندفع نحوي. وفي تلك اللحظة رحبت أنظر حولي لعلي أجد أشرا "لأديل". لكن البحر كان خاليا على امتداد بصري، ولم أكن أرى سوى القسارب الخاوي وهو ينجرف بعيدا، والمجدافين منفلتين.

رُحْتُ أنتحبُ وأصرخُ: "أديل... أديك مرات عديدة بصوت منخفض، وكأني أقول ذلك لنفسي، وبدا لي أن هدير الأمواج قد ردت علي "كانت هي" كما لو أن صوت "أديك" الني تلاشت يحلّق في السهواء، لا تزال تعارضني، ثم وصل المنقذون، وأمضينا أكثر من شيلات ساعات وندن نبحث عنها، إلا أن جسد "أديل" اختفى، ولم يعثر عليه إلا في صباح اليوم التالى أو خلال الأيام التي تلت ذلك.

و هكذا أصبحت أرملاً... وبعد مضي عسام استجمعت شجاعتي وذهبت للقاء "جوليا". قسادتني أمها إلى غرفة الطعام، وعندما دلفت إلى الغرفة قلت لها: "جوليا... لقد جئت لأسالك؛ إذا كنت ترغبين في أن تصبحي زوجتي".

احمر وجهها، وغمرتها السعادة، وأجابت بصوت

ناعم لذيذ: "لا أقول: لا، أبدأ ... لكن يجنب أن أرى أمني أو لاً". ذهلت من ملاحظتها الأولى، ثنم أحسست أن كلمة "لا أقول: لا، أبدأ" فألا حسنا.

تزوجنا، وإذا أردت أن ترى زوجين يعيشان فيي وئام تام تتروجنا، وإذا أردت أن ترى زوجين يعيشان في وئام تام ، تعال وانظر إلينا. فقد بقيت "جوليا" دائماً كما كمانت عليه ذلك الصباح عندما أجابتني: "أنا لا أقول: لا، أبداً".



الرضيع

عندما قامت المشرفة الاجتماعية مسن جمعية رعاية الطفولة بزيارتنا، وجّهت إلى زوجتي السوال نفسه الذي كانت تطرحه على الجميع: "لماذا أنجبنا عدداً كبيراً مبن الأطفال إلى هذا العالم" أجابتها زوجتي التي لم تكسن يومها في مزاج رائق: "لو كنا نملك قدراً كافياً من المال، لذهبنا إلى السينما في كل مساء. ولكن بما أننا لا نملك مالاً، فإننا ننام مبكرين وهكذا يأتى الأطفال".

عندما سمعت السيدة هذا الجواب، ارتبكت ومضت دون أن تَثيسَ بكلمة. بعد ذلك لِمْتُ زوجتي وقلت لها: "إنه لا يصبح أن نقول الحقيقة دائما، وإنه إذا تعي ن عليك قولها، فيجب أن تعرفي أو لا مع من تتعاملين".

عندما كنت شابا، وقبل أن أنزوج، كنت أتسلى بقراءة الأخبار المحلية في الصحف التي كانت تصف جميع أنواع المصائب والنكبات التي يمكن أن تصيب البشرق مثل السرقات وجرائم القتل والانتحار وحوادث الطرق. ولكن الشيء الذي بدا أنه لا يمكن أن يحدث لي، من بين كل تلك النوائب، هو أن أصل إلى تلك الحالمة التي تطلق عليها الصحف "وضع يُرثى له".

شخص شديد البؤس، يستحق الرئاء والعطف دون أن يجد ملاذا. وكما قلت، كنت وقتئذ شابا، ولم أكن أعرف بعد معنى أن يُعيلَ المرء أسرة كبيرة.

أما الآن ولدهشتي العظيمة، فقد آلت أوضاعي شيئا فشيئاً إلى الحالة التي يطلقون عليها "وضع يُرشى له". فقد كنت أقرأ مثلاً: أن بعض النساس كانوا يعيشون في إملاق، وهاأنذا أصبحت أعيش الآن في فقر مُدْقِع، أو أنهم يعيشون في بيت ليس له من صفات البيت سوى السمه.

وهاأنذا الآن أعيش في "تورامارانشيو" مسع زوجتي وأطفالي السنة، في غرفة لا يوجد فيها إلا عدد كبير" من الفرش الممدودة على الأرض، وعندما تهطل الأمطار، كانت تهطل علينا كما لو كنا جالسين على مقاعد في شارع "ريبيتا". أو كنت أقرأ: أن تلك المرأة البائسة، اتخذت قراراً إجرامياً وهو أن تتخلص من ثمرة حبها بعد أن اكتشفت أنها حامل.

وهانحن الآن نتّخذ هذا القــرار أيضاً. إذ اتفقنا أنا وزوجتي، بعد أن اكتشفنا أنها حامل للمرة السابعة، أن نضع طفلنا الجديد في إحدى الكنائس، ونعهد به إلــي أول شخص يعثر عليه. وقررنا عمل ذلك فــور تحسن الطقس وانتشار الدفء.

نتيجة للمساعي الحميدة لإحدى السيدات الطيبات، أدخلت زوجتي المستشفى لتضع وليدها. وعندما تحسّن وضعها الصحي، عادت إلى البيست مع الطفل، وما إن دفنا إلى الغرفة حتى بادرتني قائلة: "هل تعلم أنسي أقضّل البقاء في المستشفى بسالرغم من كونه مستشفى وعدم العودة إلى البيت". إلا أنه ما أن تفوهست بهذه الكلمات، حتى أطلق الطفل صرخة قوية كمسا لو أنه كان يفهم معنى كلماتها.

كان صبيا جميلاً، قوي البنية ذا صوت حاد. وكان يَحْرِمُ

الجميع النوم عندما يستيقظ في منتصف الليل ويجهش في البكاء. عندما حلَّ أيار وأصبح الجو دافئا.

وأصبح بإمكان المرء أن يخرج دون ارتداء معطف، هممنا بالذهاب إلى "روما". أمسكت زوجتي الرضيع وضمت اللى صدرها، وكان مقمطا بكمية من الأسمال البالية تكفي لتركه بأمان في حقل مكسو بالجليد.

وعندماً وصلنا إلى المدينة _ ربما لتداري ما جئنا من أجله _ أخذت تتحدث من دون توقف، وقد بدا عليها الإنهاك وهي تلهث. وكان شعرها مفترشا على كتفيها، وعيناها جاحظتان تكادان أن تخرجا من محجريهما.

وفي مرّة تحدثنا عن مختلف الكنائس التي يمكننا أن نترك طفلنا فيها، حيث قالت: "إنها يجب أن تكون كنسية يؤمها الأغنياء، لأنه إذا ما أخبذ ابننا رجل فقير فمن الأولى أن نحتفظ به لأنفسنا". ثم أخذت تلح فيما بعد أنها يجب أن تكون كنيسة مكرّسة للسيدة العذراء، وذلك لأن للعذراء ابنا ولذلك فسيكون بوسعها تفهم أمور معينة وستمنحها الأشياء التي ترغب فيها، وجدت طريقة الحديث هذه مملّة وأثارت حقي وذلك لأني كنت أشعر بالخزي أيضا ولم تررق لي الفكرة التي نحن بصددها.

لكني رحت أقول لنفسي: "إنه يجبب أن أحافظ على رباطة جاشي، وأن أبدو هادئا وأن أثير الحديب شبطريقة حيوية". أبديت عدة اعتراضات وذلك كي أقاطع تدقُق كلماتها ثم قلت: "لدي فكرة ... لماذا لا نضعه في كنيسة القديس بطرس؟"، ترددت لحظة ثم أجابت: "لا، إنها كنيسة واسعة جداً، ومن الممكن أن لا يراه أحداً... من الأفضل أن نحاول في تلك الكنيسة الصغيرة الواقعة في

شارع "كوندوتي" حيث توجد تلك المحلات الجميلة... حيث يؤمُّ الأغنياءُ تلك المنطقة إنه المكانُ المناسبُ".

استُقلينا الحافلة. جلست واجمة وسط الركاب. وكانت بين الفَيْنَةِ والفَيْنَةِ تعيد ترتيب القِماط، وتشده حوله أو تكشف عـن وجهه بحذر، وتمعن النظر إليه.

كان الطفل يغط في سُبات عميسق، وكان وجهه الوردي يغوص في ذلك القماط، وكان يرتدي مثلنا ثيابا مهلهلة؛ والشيء الوحيد الأنيق الذي كان يرتديه هو قفازاته الزرقاء الصوفية، وبالفعل فقد كان يمد يديه السي الأعلى، وكانه يسعى لإظهار هما، نزلنا في "لاركو غولدوني"، وعلى الفور أخذت زوجتي تتكلم.

وققت أمام واجهة محل صائغ، وقالت وهي تشير إلى الجواهر المعروضة على الرفوف المغطاة بمخمل الجمراء "انظر ما أجملها... إن الناس الذين يقطنون هذا الشارع يأتون إلى هنا ليشتروا المجوهرات وأشياء جميلة أخرى، أما الفقراء فلا يأتون إلى هذا المكان أبداً... وخلل تجولهم بين المحلات يدخلون إلى الكنيسة ليصلوا قليلاً... عندها سيجدون الطفل وهم في غمرة السعادة سياخذونه".

قالت ذلك وهي و اقفة أمام الجواهــري، وهـي تمسك الصبي وتضمه بقو ق إلى صدرها. كانت عيناهـــا واسـعتين، وكأنها تحدّث نفسها، ولم أجرؤ على معارضتِها.

دلْقْنَا إلى الكنيسة. كانت صغيرة مطليَّة بالدهان، حيــــث تبدو جدرائها مثل مرمر أصفر، وفيها محراب مرتفع، وأماكن عديدة للصلاة.

قالت زوجتي إنها تذكر هذه الكنيسة بشكل مختلف، لكنَّهَا الآنَ وبعد أن رأتها للمرة الثانية، لم تعجبْهَا علم الإطلاق. ومع ذلك، فقد غطسَتُ أصابعَهَا في الماء المقدَّس، ورسمتُ

إشارة الصليب، وراحت تتمشى ببطء في أرجاء الكنيسة، وهي تضم الصبي إلى صدرها، وهي تتفحّصها بإمعان شديد، وبدت على وجهها أمارات الامتعاض والشعور بعدم الثقة. كان نور خفيف يتسرّب من أحد جوانب الكنيسة. وكانت تتفحّص كل شيء حولها، المقاعد، المحراب، الصور، لتتأكّد من أن الكنيسة مكان لائق كي تترك الطفل فيه. أما أنا، فكنت أقف على بُعْد خطوات منها أراقب الباب.

وفجأة دلفت سيدة شابة فارعة ترتدي ثوبا أحمر، وكان شعر ها أشقر كالذهب، جَتَات على ركبتيها، فانحسرت تنورتها الضيقة. ولم تتجاوز صلائها دقيقة واحدة. إذ استوت واقفة ورسمت إشارة الصليب على صدرها، وخرجت دون أن تتطلع نحونا. أما زوجتي التي كانت ترمقها فقالت فجأة: "لا، ... إنها ليست جيدة. إن الناس الذين يؤمون هذه الكنيسة يأتون بسرعة كهذه الصبية ليمتعوا أنفسهم بالتفرج على المحلت، هيا لنذهب من هنا". و هُرعَت إلى الخارج بسرعة. اجتزنا مسافة لا باس بها في طريق عودتنا إلى الشارع.

كنا نهرول، زوجتي أمامي وأنا وراءها. ثم دلفنا إلى كنيسة أخرى تقع قرب ساحة فينسيا. كانت هذه الكنيسة أكبر من سابقتها بكثير، والظلام يغشوها، وتملؤها الزينات المذهبة المعلقة في أرجائها. وكانت ثمة علب زجاجية محشوة بقلوب فضية تلمع وتتلألا في الظلام.

وكان هناك عددٌ مسن النساس الذيسن قدرْتُ بنظرةٍ سريعةٍ أنهم من الميسورين فقد كانت السيدات يرتديسن قبَّعات، والرجال متأنقي الملبس، وثمَّة راهسب يلوِّح بيديسه وهو واقف علسى المنبر يلقي موعظته. كان الجميع واقفين يتطلعون نحوه، وبدا لي أن ذلك أمراً جيداً لأنسه لن

يتمكَّنَ أحدٌ من ملاحظتِنا. همسْتُ في أذن زوجتي: "هل نجرب تركه هنا؟" فهزَّت رأسها مو افقةً.

دلفنا إلى حجرة للصلاة حيث يسود ظلام دامس. لم يكن هناك أحد، ويكاد المرء لا يستطيع أن يرى شيئا. غطت زوجتي وجه الطفل بطرف الدثار المقمط به، ثم وضعته على أحد الكراسي، كما لو كانت تضع حزمة ثقيلة لستريح يديها، ثم جتّت وصلّت لمدّة طويلة، وقد أسندت وجهها على راحتيها، فيما رحت، وأنا لا أدري ماذا أفعل، أتطلع إلى مئات القلوب الفضية من مختلف القياسات والأحجام التسي كانت تغشى جدران المصلّى.

وفي النهاية، استوت واقفة على قدميها، وبوجه متجهم رسمت علامة الصليب، وابتعدت عن المصلى ببطء شديد، وأنا أتبعها على بعد خطوات منها.

في تلك اللحظة نفسها، قال القسُّ بصوتِ عالِ: "قال السيد المسيح: يا بطرس إلى أين أنت ذاهب؟" أجفلتني العبارة، لأني ظننتُ أنه كان يخاطبني، ويلقي عليَّ هذا السؤال.

لكن ما كادت زوجتي ترفيع طرف الستارة عند الباب، حتى أجفلنا صوت صدار من خلفنا قائلاً: "يا سيدتي... لقد نسيت صررة على الكرسي هناك"... كانت امرأة متشحة بالسواد، واحدة من تلك النساء التقيّات الورعات اللاتي يقضين حياتهن بين الكنيسة والمصلى. فقالت لها زوجتي: "آه نعم ... شكر أ... لقد نسيتها حقاً. فعدنا وحملنا الصرة ثانية، وخرجنا من الكنيسة، ونحن نشعر أننا أموات أكثر منا أحباء.

 في السوق يشتري منه بضاعته.

خلال ذلك، أخذت تهرول بطريقة نقطع الأنفاس، حتى خلال ذلك، أخذت تهرول بطريقة نقطع الأنفاس، حتى إن قدمها لم تكد تلامس الأرض. خرجنا إلى ساحة "سانتي أبوستولي". كانت الكنيسة مفتوحة، وما إن دخلنا ورأت زوجتي أنها كبيرة ورحبة ومظللة، حتى همست في أذني: "هذا هو ما نريد".

وبطريقة عازمة، مشت نحو المصلّى الجانبي، ووضعت الطفل على مقعد خشبي... ودون أن ترسم شارة الصليب، أو تدمدم بأية صلقة عليه وجسه الطفل، هرولت نحو باب المدخل، كأنَّ الأرضَ تشتعلُ تحست قدميها. إلا أنها ما كادت تخطو بضع خطوات، حتى ارتجَّتُ أركانُ الكنيسة بصوت عويل مجلجل بائس: فقد حان موعد أركانُ الكنيسة بصوت عويل مجلجل بائس: فقد حان موعد إرضاعه. فأخذ يبكي بصوت مدوِّ. لقد كان طفلنا دقيقا في مواعيده!!.

ولعل صوت البكاء العنيف هذا جعل زوجتي تققد أعصابها: إذ جرت أولا نحو الباب، ثم عادت وهي لا تزال تجري؛ ودون أن تدري أين هي، جلست على المقعد الخشبي، وأخذت الطفل بين ذراعيها، ورفعت طرف بلوزيها لتلقمة ثديها، ولكن ما إن أخرجت ثديها، حتى تكالب عليه الطفل بكاتا يديه وراح يلتهم الحيمة بجشع ونهم كالذئب.

توقّف عن البكاء، وما هي إلا لحظات حتى سمعنا صوتا أجش يصر حُ بها مؤلّبا: "لا يمكنك أن تفعلي ذلك في بيت الله.. هيا اخرجي .. اخرجي إلى الشارع". تطلعنا إلى مصدر الصوت، ورأينا القندلفت الذي كان عجوزاً ضئيل الجسم، صغير الرأس وقد نبتت كَنّة من الشعر الأبيض تحت ذقنه.

كان صوته أجش لا يتناسب مع حجمه. قالت له زوجتي بعد أن وقفت و غطت صدرها ورأس الصبي بقدر ما تستطيع: "لكن السيدة العذراء، كما تعلم، وفي جميع صور هـــا تمسك بابنها و تضمته إلى صدرها".

فرد عليها على الفور: "وهل توازنين نفسك بالسيدة العذراء؟ أيتها المرأة الدعيَّة المتبجِّحة". تركنا المكان بسرعة، وذهبنا وجلسنا في حديقة ساحة فينيسيا؛ وهناك أخرجت للطفل ثديها ثانية، فراح يرضع حتى شبع وغط في سبات عميق.

كان قد حلَّ المساءُ واقفات جميعُ الكنائس أبوابَـها. كنا منهمكين، وفي حيرة من أمرنا. ولم نكن ندري ماذا عسانا أن نفعل. إن التفكير بما أقدِم عليه، وهـو أمـر كـان يجـب ألا أفعله، جعلني أشعر باليأس. قلت لزوجتي: "اسمعي الآن... لقد تأخَّر الوقت، ولا أستطيع الاستمرار هكـذا. يجـب أن نتّخـذ قرارنا الآن". فأجابت بشيء من المرارة: "لكنـه مـن لحمـك ودمك... هل تريدُ أن نلقية في أي مكـان؟ فـي أيّ ناصيـة كما يترك الناس قطعة من اللحم للقطط؟" فقلت: "لا، ... ليـس هكذا . لكن ثمة أمور يجب علـى المـرء أن ينقّذها فـورأ دون أن يفكر بها أو أن لا يفعلها أبدأ".

فأجابت: "الحقيقة هي أنك تخشى أن أغير رأيي وأن أعيده إلى البيت مرة أخرى... آه منكم بيا أيها الرجال ... جميعكم جبناء". عندها أدركت أنه يجب ألا أعارضها في هذه اللحظة نفسها ، وأجبتها مُهدّنًا إياها وقلت: "لا تقلقي، فأنا أعرف حقيقة مشاعرك... لكن يجبب أن تتذكّري أنه مهما حدث له، فسيكون أفضل من أن يكبر في منزلنا، في غرفة لا يوجد فيها مغسلة أو مطبح حيث ينتشر البق في غرفة لا يوجد فيها مغسلة أو مطبح حيث ينتشر البق في الشتاء، والذباب في الصيف"، لائت بسالصمت

ولم تُحِرُ جو اباً.

أخذنا نحث الخطا في شارع "ناسيونال" على غير هدى ورحنا نصعد باتجاه برج "نيرون". في الأسفل الحظت شارعا صنغيرا ضيقا مهجورا تماما، يلتف من الشارع الذي كنا فيه. وكانت توجد سيارة رمادية مركونة أمام مدخل أحد البيوت. لمعت في رأسى خاطرة.

توجهت على الفور نحو السيارة، أمسكت مقبض الباب فانفتح على الفور، قلت لزوجتي: "هيّا، بسرعة، هـذه فرصتنا، ضعيمه في المقعد الخلفي. وفعلت تماما كما قلت لها ووضعت الطفل على المقعد الخلفي للسيارة، وأغلقت الباب.

كان ذلك قد تم بسرعة فائقة دون أن يلحظنا أحد. ثم أمسكتها من يدها ورحنا نهرول باتجاه ساحة "كونيال".

كانت الساحة خالية من الناس، وكان الظالم يكاد يُخيِّم عليها. كان هناك بضعة مصابيح مضيئة أسفل البنايات الضخمة. وكانت أضاوء "روما" تشعُ وتتالألأ في الظلام المخيِّم في الأسفل وراء الحاجز الحديدي. البّجهَتْ زوجتي نحو البركة الواقعة تحت المسلّة وجلست فوق أحد المقاعد. وفجأة أخذت تجهش في البكاء، كانت مقوسة الظهر، وقد أدارت لي ظهرها.

قلت لها: "وماذا الآن؟؟" فقالت: "الآن؟!! لقد تركته... إني مشتاقة إليه... أشعر كأن شيئا ينقصني هنا حيث اعتداد التعلق بصدري".

فقلتُ مجازفاً: "بالطبع ... لكنك سرعانَ ما ستعتادين ذلك". هزّت كتفيها واستمرَّتْ في البكاء.

ثم، وعلى حين غِرَّةٍ جقَّتُ دموعُهَا كما يجفُّ المطر من

أرض الشارع بعد أن تهبّ الرياح. وتَبَبَتْ واقفة، وأشارت إلى إحدى البنايات المطلّة على الساحة، وقالت وقد اعتراها الغضب: "سأذهب إلى هناك وسأطلب مقابلة الملك، وأروي له القصلة يكاملها".

فصحت بها: "قِفِي" وأمسكتها من يدها وقلت: "هل أنست مجنونة؟... ألا تعرفين أنه لم يعد هناك ملك؟" فقالت: "ومساذا يهمني كلُّ ذلك؟ سأتكلَّم مع أي إنسان حلَّ مكانَه... لا بسد أن يكونَ هناك أحدٌ ما".

وأخذت تجري نحو بساب القصدر الكبير، ولا يعلم سوى الله ما الجلبة التي كان من الممكن أن تحديها لو لم أقل لها فجأة بدافع من اليأس: "انظري... لقد كنت أفكر بهذا الأمر... لنعد إلى السيارة ولنستعد طفلنا ... أعني كي نحتفظ به لأنفسنا، إذ لا أهمية لعددهم لو زاد واحد أو قلً ".

هذه الفكرة التي كانت حقا جوهر المشكلة كلها هيمنست فورا على فكرة التحديث إلى الملك وطغت عليها فسالتني: "وهل لا يزال هناك؟". وانطلقت بسرعة البرق نحو الشارع الضيق حيث كانت تجتم السيارة الرمادية، وأجبتها وأنا أجري وراءها: "بالطبع، إذ لهم يمض أكثر من خمس دقائق على ذلك".

كانت السيارة ما تزال واقفة في مكانها. إلا أنه ما أن هَمَّتْ زوجتي بفتح باب السيارة حتى برز من مدخل البيت رجل قصير"، متوسط العمر، عليه سيماء النفوذ والهيبة وصاح: "قفي... قفي... ماذا تفعلين بسيارتي؟"، فأجابته زوجتي: "أريد أن أسترد حاجتي" دون أن تعيرة اهتماما أو النفاتة، وانحنت داخل السيارة لتمسك بالصرَّة وترفعها عن المقعد. إلا أن الرجل تابع سؤاله: "ماذا لديك هناك؟ ماذا

تفعلين؟ إنها سيارتي... هل نفهمين؟ إنها سيارتي". كان عليك أن ترى زوجتي في ينك اللحظة. فقد ابتعدت عن السيارة، واتّجهَتْ نحوَه، وصاحَتْ في وجهه: "ومَنْ ياخدُ شيئا منك؟ لا تقلق ... لا أحدَ يأخدُ شيئا منك... أما سيارتك فإني أبصق عليها ... انظر"، وبالفعل، فقد بصقت على باب السيارة. أما الرجلُ فقد اعترتهُ الحيرةُ وصاح:" ولكن تلك الصرّدُ والما النها ليست صررةً إنها ابني ... انظر تلك الحبيث".

وكشفت عن وحبه الطفل، وأرثه إياه ثم تابعت قائلة: "أنت وزوجثك لا يمكنكما إنجاب طفل جميل مثله. حتى لو ولسدت من جديد... ولا تحاول أن تدل علسي وإلا نساديت الشرطسة وسأقول لهم إنك حاولت سرقة طفلي". أمّا الرجسل المسكين الذي هدّدئه ووبخّئه كثيرا، فقد وقف هناك فساغرا فساه وقسد امتُقع وجهه، كأنه أصيب بنوبة وأخيرا ابتعدت عنه وانضمّت إلي عند ناصية الشارع.



اغتصاب

أققت فجأة، وأحسست على الفور أنَّ الظلم الذي يكتنفني لم يكن مألوفاً لديَّ. ظلم يختلف على الظلام الذي عَهِدْتُهُ عندما أستيقظ ليلاً، مع الفارق أنه تعدرً على وصفه. بيد أنه وبكل تاكيد كان ظلاماً مختلفاً.

وعلى الفور اجتاحني شعور" بالانقباض، وأحسست أن قلبي يغوص داخل صدري. مسا سبب وجودي هنا، وكيف جئت إلى هذا المكان؟ لإيجاد جواب شاف عن هذه الأسئلة، مددّت يدي إلى وسَطِ السرير، اكني سحبتها على الفور وقد تملكني الذعر: فقد لامست أصابعي ظهرا محدودبا وتحسست من وراء المنامة المجعدة فقرات وعضلات. لم يكن ثمّة شك من وجود رجل نائم إلى جانبي غير أنى لا أعرف من هو.

بدات أخيرا أعي حقيقة الأمر. فلسبب مازال مجهولا، أحضير ثن إلى هذا المكان بالرغم مني عن إرادتي. لا بد أني قد اغتصيبت. إن وجودي مستلقية على السرير بجانب رجل أمضيت معه، في جميع الاحتمالات، طوال الليل، يبرر أسوأ الافتراضات.

نعم، لقد خطفني شخصان أو أكثر بينما كنت أسير في شارع غير مطروق كثيرا. حشروني في سيارة. قيدوني كمموني ونقلوني ليلا إلى هذا البيت، حيث خدروني بأحد أنواع

المخدرات. نزعوا عني ثيابي، وألقوني على السرير ثم انتهكوا عذريتي. إنَّ محاولة استعادة شريط مسا جسرى أصابني بالصدمة. وفي مثل هذه الظروف لا يبدو لي ما لاقيت غريبا، فمن البدهيِّ أن تتعرَّض فتاهُ شابة جميلة مثلي لهذا النوع من أعمال العنف. إنما الغرابة تكمن في عدم تعرُّضي لما تعرُّضتُ إليه.

لم يكن هذا وقت التفكير الفلسفي، إنما المهم الآن الخروج من هذه الشقية بأيية وسيلة كانت، وأن أعرف عنوانها كي أتوجّه إلى الشرطة لأبليغ عن خاطفيّ. فقد أرغِمنت على الابتعاد عن حياتي المألوفية، عن الذين احبهم، وعن الأشياء التي أحبها وعما يُحيط بي في لا بد أن يدفع المذنبون ثمنا باهظا، وباهظا حدا، والحمد لله أنب توجد قوانين وقضاء وشرطة. إذ لا يجوز أن يتعرض إنسان إلى اعمال فظيعة يعجز اللسان عن وصفها، دون أن ينال مرتكبوها عقابا شديدا.

في الوقت الذي كانت فيه هـــذه الأفكار تجول في خاطري، كنت أسحب ساقي اليمنى شيئا فشيئا وبــهدوء مـن بين أغطية الفراش المتشابكة المتكومة. كنت حريصــة علـى أن أفعل ذلك بهدوء شديد كي لا ألمس الرجــل الـذي كان يغط في النوم بجانبي. أحسسـت بـالقرف عندما لامسَت قدمي السجادة الممدودة بجـانب السرير، التـي لـم تكن لنقل غرابة عـن الظـلام الـذي حـال دون رؤيتـي لـها. أسندت قدمي اليسرى على الأرض.

جلسْتُ لحظاتِ قليلةً على حافة السرير، ثـم استويت واقفة بسرعةٍ مذهلةٍ. شعرت أني كنتُ أرتدي قميـص نـوم، إلا أنَّ ذلك لـم يمنحني أيَّ دلالـة: فقميـص النـوم هـذا ليس قميصى، لأنه بدا لي غير مـالوف. لقـد كـان غريبا

بحيث أني خلعته بحركة مفاجئة عنيفة، فسحبثه من فسوق رأسي، وأصبحت عارية تماماً. تحسست طريقي نحو الباب، فتحثه وغادرت الغرفة.

وجدت نفسي في ممر عادي جدا لا يثير الاهتمام. أربعة أبواب، وعلى الجانب الآخر يقبع باب الشقة. وعلى الحائط عُلقت بضع صور عادية جدا. مشجب نحاسي قصير. أربعة مصابيح باهتة اللون.

هذه الأشياء كلها أكّدت لديّ الانطباع أني غريبة هنا. الله أني شعرت بشكل مثير للأسسى أنسي كنت قد رأيت هذه الأشياء من قبل. إن المجرمين الذين يستأجرون شقة لتنفيذ أعمالهم الشنيعة لا يكلفون أنفسهم عناء تأثيثها بهذا الشكل، لأنهم لا ينوون الإقامة فيها، وإشاعة جومفعم بالدفء والراحة، بل لاستخدامها لارتكاب جرائمهم مسع وجود درجة معينة من الأمان.

ولهذا السبب لا يُبدُونَ اهتماماً بفرشها بأشاث جيد. بل يشترون قطعاً عادية من الأثاث من أول مخزن يصادفونه. لقد كان العنف على الدوام عاراً وشيئا غير متحضر بدءاً من إنسان الكهوف وانتهاءً بإنسان الشقق المجهولة مثل هذه الشقة.

كان الوقت مبكراً جداً، مع بدء البلاج أولى تباشير الفجر، وكان ضبوء باهت يتسرب إلى غرفة المجلوس، أجلت النظر في الغرفة ورحت أتفحصها وأنا أسير على رؤوس أصابعي، وقفت عند الباب واسترقت النظر إلى الغرفة. شاهدت أريكة، وكرسيين فوتيل، ومنضدة، وأربعة كراس عادية، وخزانة.

وكان كل شيء في الغرفة غريباً ومألوفاً في الوقت نفسه على نحو يثير الفزع. ومرة أخرى عاودني

الشعور أني كنت قد رأيت هذه الأشياء من قبل حتى إنه سبق لحي أن عايشتها، لأنه مما لا ريب فيه كانت موجودة في هذه الغرفة الصغيرة التي جرت فيها أكثر المراحل الإجرامية من اختطافي.

والدليل على ذلك، إن لـم تكـن ثمـة أشياء أخـرى، بعـضُ الكـؤوس، وزجاجـة مشـروب كحولـي، وبعـضُ فنـاجين القـهوة، ونفاضـات ممتلئـة بأعقـاب السـكائر، وعلى الأرض كـانت تقبع علبـة سـكائر فارغـة. لقـد تعرفـت علـى كـل الأشياء: فنـاجين، كـؤوس، قنينـة، علبة، ونبذتها كلها في الوقت نفسه.

اقتربت من الناقذة ورحث أتطلع السي الخارج، وأنا ضغط بصدري وبطني على الزجاج. كان بوسعي أن أقسم: فالشقة تقع في شارع مشابسه. أي شأنسه شأن الشقة نفسيها يشبه مئة شارع، بسل ألف شارع آخر، وكانت السيارات مصفوفة بشكل متعرج مثل السلسلة الفقريسة للسمكة، وتكاد تكون ملاصقة تحت عيني تماما، وكذلك على الطرف الآخر من الشارع على طول الرصيف المقابل.

كانت هناك الدكاكين ذات النوافذ المظلمة، التي ما زالت مغلقة. وفي الطابق الأرضي للبناية المواجهة كان هناك: دكان جزار، وصيدلية، ومحلُّ بيع البسة.

وكانت هناك الشرفات على واجهة المبنى. غير انه لم يكن بوسعي أن أرى السماء، لأني من المحتمل أن أكون في الطابق الأول. كانت أضواء الشارع مازالت منارة، تبدو صفراء في هذا الجو الرمادي. وفي منتصف الشارع المعبد بالإسفلت، كان ثمة حفرة كبيرة، ورقعة عارية منخسفة.

كانت أوصالي ترتعد من البرد. تركت النافذة واتجهت بصورة آلية إلى الأريكة. جلست فوقهها وكورّت جسمي، الصقت ساقي بصدري وضممت ذراعي حولهما، وأسندت وجهي على ركبتي، أدركت الآن أني لن أتمكن من الذهاب والتبليغ عن مختطفي كما كنت أنوي.

وهذا ما جعلني أفقد إحساسي بهويتي على نحو ما، بسبب نقلي إلى هذا البيت المجهول، في هذا الشارع المجهول البعيد عن الأشياء العادية المحيطة به. تساءلت: "من أنا؟" لم أعد أعرف. ربما كنت أنا نفسي كما يمكن أن أكون أي إنسان آخر.

والآن إذا كنت ما أزال أنا نفسي، فيجب علي أن أثور، ولكن من الناحية الأخرى، وكما بدا لي أني أفهم الآن، إذا كنت قد أصبحت أحداً آخر، فيمكنني القول إن الوضع الذي وجدت فيه نفسي، لم يعد وضعاً عادياً، ولا يحقّ لي أن أثور عليه؟.

ومَــنْ بوســعه أن يقــول: إن مختطفــي ً لم يوققوا في صياغة شخصية جديدة لي، كـي تصبح أكـثر انسجاماً لتنفيذ مآربهم؟

ولكن ما تلك المارب؟ لبئيت ساكنة فوق الأريكة مدة طويلة وانسا احدق بعينين واسعتين، بالطاولة ذات الكؤوس، والمنافض، وفناجين القهوة.

وَفَجاة برقت في خاطري فكرة: أنه يتعيَّنُ عليً أن أتركَ الكنبة على الفور، وأن أتدَّر بالرَّوب، وأتَجه إلى المطبخ وأحضر صينية وأضع عليها الكوس والمنافض وفناجين القهوة وأغسلها جميعها. ثم أفتح الثلاجة وأصب شيئا من الحليب في قيدر، وأضعه على الموقد. ثم أملاً ركوة القهوة وأنتظرها حتى تغلي.

كيف لي الآن أن أوقق بين الأعمال المنزلية هذه والعنف الإجرامي الدي حدث لي الليلة الماضية? كان الأمر واضحا: إن الخاطفين يهدفون إلى جعلي أداة طيّعة يستخدمونها بالطريقة التي يشاؤون، وليس فقط، بما يمكن أن نسميّها "الطريقة الجسدية" في بيتي، في محيطي. كنت بالتاكيد إنسانا ذا اسم، لي وضعة. عائليّ ومهنة.

أما هنا قلم أعد شيئا على الإطلاق، أو على الأصحّ كنت ما كنت. لكن ماذا كنت؟ هنا تكمن المسألة. ولأتبيَّنَ ذلك، يجب علي أن أعرف ماذا يعرف الخاطفون عني. وكي أعرف ذلك، تعيَّن علي أن أنقد رغباتهم، وشيئا فشيئا، من خلل ما أرغموني علي علي علي القيام بالم بالماء الأمر من أنا.

وفجأة، على حين غِرَّةٍ صدر صوت رجولي أجسَّ فيه نبرة غضب وحَنَق، ينسادي اسمَ المراةِ من الغرفة الأخرى.

كان الاسم "لويزا". وبما أنهه، ووقق كل المظهر حولي، لم يكن ثمَّة أحدٌ في الشقة سوانا. أنا والرجل الذي كان ينام بجانبي.

كان علي أن أستنتج أن الرجل يناديني، وإنب أنا الويزا". هكذا إذا حُلست النقطة الأولى: فعند مختطفي كنت أدْعَى الويزا".

"لويزا" هـ ذه طلب منها، بعد أن تبيّنت الوقت من النهار والحالة التي هي عليها، أن تعود السي غرفة النوم تفتح النوافد، وتقول: "ما أجمل هذا اليوم!!" (أو: هو غائم) ثم تدلف إلى المطبخ، وتشغل نفسها بإعداد الفطور.

تماماً كما كنت أتوقع، وأنتظر تماماً كما كان أمراً محتوماً. هكذا إذاً، فقد تُكْشَفُ هويتي الجديدة شيئا فشيئاً. لقد فقدت الشخصية القديمة، ويجب علي أن لا أعثر عليها ثانية.



الجمع والمفرد

إني امراة جادة، أحب الصمت والإصغاء، ولا أحب الإفصاح عن الأفكار التي تجول في خاطري، بل أرغب في الاحتفاظ بها لنفسي، ومن الأمرور التي تجعل ذلك أمرا سهلا وجهي المستدير الباسم الجميل، إنه باختصار أشبه بوجه دمية.

بالفعل ألا يقول الناس في بعض الأحيان عن المرأة التي لا تفصيح عن آرائها ومشاعرها، إنَّ لها وجها كوجه الدمية؟؟.

أما زوجي، فإنه لحسن الحسط، يحب التكلم بنفس القدر الذي أحب فيه الإصغاء. وهو من ذلك النوع الدي يحب التفكير، إلا أنه لا يحب الكتابة، لأن الكتابة في نظره تعمل على وقف نشاطه العقلي الذي لا يتوقف عن العمل.

واسمحوا لي هناك أن اوضح لكسم أسلوبه في التفكير: إذ ما أن تتلقى تلك الآلة الصغيرة الكامنة في رأسه أي حقيقة أو شيء واقعي أو مادي ملموس، حتى تتحوّل على الفور إلى فكرة مجردة وعامة. بمعنى آخر، تتجلى تلك الحقيقة أو الشيء المسادي الملموس وكيف يمكن أن يتم ذلك بغير هذه الطريقة؟ _ في صيغة المفرد. وهو عندما يتكلم عنها يتحدث عنها دائما بصيغة الجمع. وعلى الفور تفقد تلك الحقيقة، أو ذلك

الأمر الواقعي الملموس صفية المادية والواقعية لتنقلب اللهي نقيضيها.

فيهل مسن شيء منسلا، أجميل، في منهده الأيام من مشهد قسوس قرح الدي يتبدّى بألوانه القرحية فوق الطريق المؤدّي إلى الريف، عندما يخترق شعاع الشمس الغيوم الرمادية المتناثرة في السماء فوق الحقول الخصراء المترامية الأطراف فيما تسهطل الأمطار بغرارة وتتساقط قطرات الماء أمام ضوء السيارة وعلى أغصان الأشجار فتبدو متلألئة، وهي تتهمر فوق زجاج السيارة؟ إلا أنني ما أن ألفت انتباه زوجي إلى قوس قرح الرائع الجمال حتى يصبح عنده مجرد كلمات. كلمات ولا شيء سوى كلمات.

في أحد الأيام، ذهب زوجي إلى عمله كالمعتدد، ولأنه كان يحب التفكير، فقد كان عمله فكريا. إذ كان يعمل في إحدى وكالات الدعاية والإعلان، وعلى نحو غير مألوف، عاد إلى البيت ولم يكن قد مضى على خروجه ساعة واحدة، وكنت قد شرعت في عملي (فقد كنت أترجم من اللغة الألمانية). وعندما رأيته يدخل متسللاً وقد بدت على وجهه أمسارات القلق، أدرت كرسي نصف دورة، وسألته عما حدث.

ولمعلوماتكم فيإن زوجي ضئيل الجسم، ورأسه جميل أشبه برأس "كوندوتيريه" النهضة: أنف كبير مستقيم، فم مرتفع وعينان غائرتان. إنه قناع يشي بالحيوية، إلا أنه، كما قلت، يخبئ تلك الآلة الصغيرة داخل رأسه ليحوّل من خلالها المفرد إلى الجمع.

وفجأة اعترتني دهشة كبيرة لأنه لم يرد علي سوالي على الفور كعادته مع شيء من التعميم المملل. وخُيِّلُ إلي على الفور

أن الشيء السذي أشار انزعاجه لا بد أن يكون أمرا شخصيا جدا، لذلك وجد صعوبة بالغة في تحويله إلى شيء مجرّد... ولبرهة، وفيما كنت أرمقه وهو ينرع الغرفة جيئة وذهابا بصمت، راودني أمل لأول مرة منذ أصبحنا نعيش تحت سقف واحد، بأنه سيقول لي أخيرا ما حدث له بدقة ويكشف عن فرديته وصفاته الأصيلة.

انتظرته طويلاً وأنا واجمة، ولكني، بعد أن وجدت أنه لم يَثبَس بكلمة، نهضت عن الكرسي الدوار، واتجهت صوب الكنبة وجلست عليها. قلت لنفسي: "لا يعلم ما حدث إلا الله". وحداني أمل أنه سيقص علي ما حدث له بصيغة المفرد، ولكنه إذا ما بدأ يروي لي قصته بصيغة الجمع هذه المرة، فلا بدأني سانفجر.

خلال ذلك، فيما كانت هذه الأفكار تجول في خاطري، رحت أتابعه بعيني وهو يذرع الغرفة، وقد ارتسمت على وجهى تعابير الدمية المعتادة.

وفجاة توقّف أمامي وراح يقول: "من وجهة النظر العملية، فإن الأعمال ليست سوى فرضيات الوجود، وهمي تتطلب أناساً آخرين لتوكيدها. وفي المجتمعات المتنافسة، تكون هذه الفرضيات دائما عرضة لخطر أن يقوم بنقضيها...".

هانحن عدنا ثانية إلى الجمع والمجرد، اجتاحني شعور مفاجئ بالسَّخْطِ والنفور، بحيث إني لم أعد أكترث لمعرفة حقيقة ما حدث له. فتحيت فمي ورحت أصرخ بصوت ساخر: "بلا بلا بسلا...". كنت قد قلت إن رأس زوجي يشبه زعماء "كوندويتروي" في عصر النهضة من

طراز "كوليوني". تصــور "كوليونــي" بفمِـــه الفــاغر مــن الدهشة. سألني: "ماذا دهاك؟".

قلت له: "الأمرُ وما فيه هو أني لا أعرف ما حدثَ لك، ولكن ما أن بدأت بتنظير الله العامّة المعهودة، حتى لم أعد أعبأ بمعرفة أي شيء".

- _ وَلَمَاذَا تَرْبِدِينِ أَن تَعْرِفِي؟
- _ لأنك لا تقل لى أبدا الشيء نفسه.
 - ــ شيء ماذا؟
 - ـ الشيء.
 - _ ماذا تقصدين؟
- _ أعني "الخاص". إذ سرعان ما تدخل في المجردات. العموميات ...
- _ هذا أسلوبي في معرفة حقيقة ما يحدث لي، ما وراء الأشياء التي تحدث. يجب على المرء أن يكشف القوانين التي تُسيِّرها.
- نعم، ولكني أصبحت منذ زمسن أشك أنسك أنقسة القوانين وقق مصلحتك، فإذا كانت تسير معك على ما يرام، تكون عندئذ على ما يرام عند العالم بأسره، أما إذا لم تسير الأمور معك كما تشتهي، فإنها تصبح سيئة عند العالم برميّة، فمن الأفضل التحدّث عن الأشياء بصراحة مسن دون مواربة، أو من دون استخلاص القوانين أو تقييمها. فمثلا، من الطريقة التي بدأت فيها حديثك، خميّت أن أمرا ليس على ما يرام قد حدث لك هذا الصباح، وبالتحديد في مجال عملك. فلعلك خسرت عقداً للدعاية؟ لكن لا تعبا بذلك: فلو سار الأمر سيراً حسناً على تحو ما ترغب، لكنت قد قلت العكس تماماً.
 - _ وماذا برأيكِ يجب أن أفعل؟

_ يجب عليك أن تكون مدركا وواعيا للواقع، أن تُدرك الأشياء وفق مصالحك كما يفعل الجميع. يجب عليك أن تضع العموميات جانبا وأن تتحدث عن الشيء نفسه.

_ حسب كلامك، يجب أن أصبح معمعيا.

_ بصورة ما، نعم.

لا بد أن يكون قد حدث له شيء خطير، ذلك لأنَّ الآلة الصغيرة الكامنة في رأسه أصبحت فجاة مشوَّشة. إذ لم يشرع في إلقاء أية نظرية عن النساء (كوني امراةً) أو عن واجبات الزوجة (كوني زوجة) بل، الحنى السي الأمام نحوي، والحَنقُ يكاد يمزقه وصرخ في وجهي: "لا، أسمح لك بالتحدُّث إلى بهذه اللهجة".

وأخير أحصلت على شيء مباشير ومُحددد وملموس. وعَزَمْتُ على حدّه كي يمضي قدْماً على هذا النحو، فقلت لسه ببرود: "سأقول كلَّ ما يَردُ إلى خاطري. أنت معمعي، بل إنك ثرثار ومهذار".

فاندفع نحوي فجأة. لقد كانت غرفة الجلوس هي الشاهد الوحيد على خُطبه الرنانة المستفيضة، وعلى إصنعائى التام له.

وَفَجَأَةُ رَأَيتَ رَجَلاً ضَئَيلاً، ذَا رَأْسَ أَشْبَسَهُ "بَكُولْيُونْسَي" وهو يَثْبُ عَلَى زُوجَتُهُ الدمية محساولاً ضربها. لقد نجسح في ذلك، ولكن دون أن يَبْدُلُ جهدا.

ولوهلة انتابني شعور" بالراحة: فاللكمسة هي بالرغم من كل شيء لكمة: شيء محدد من كل شيء لكمة: شيء محدد من الا أنه تملكنيي شعور" بالغضب عقب ذلك تماماً. وتَبْستُ واقفسة وجريت إلى غرفة نومي وصرخت: "لقد انتهى كلُّ شيء بيننا".

فتحت حقيبتي ورحت أرمي فيها أيَّ شـيء

يقع تحت يدي. ثم دَلفَ إلى الغرفة وارتمى عند قدمي، وطوّقني حدول الركبتين، فسقطت ظهراً على السرير. وبصوت مشحون بالأسى الحقيقي قال: "لقد طردت من العمل منذ ساعة. والآن أصبحت دون عمل، وأنت تقرّرين في هذه اللحظة نفسها أن تتركيني".

و هُكذا تمكّنتُ منه في النهاية. لقد توقّقتُ أخيراً تلك الآلة الكامنة في رأسه أمام ثورتي، وأخذ يحكي لي الواقـــع تمامــا ولم يحوّلهُ إلى هُراءِ أيديولوجي. قلت لـــه: " هكــذا إذن فقــد طردت من العمل؟".

- **ــ نع**م
- _ كيف؟
- طلبني المدير إلى مكتبه وأعلمني أنه أقالني بسبب عدم كفاءتي.
- __ هذا واقع دقيق. على كلل لا تبك، فستجد عملاً آخر ولا تقلق فلن أتركك. إنك تعرف ما سنفعله من الآن وصاعدًا؟.
 - ــ ماذا؟
- كلما شعرت إنك ستقول نظرية عامة أيّا كانت سأقول لك بهدوء ولطف شديدين: بلا بلا بلا ...

نَشْقَ بصوت عالى، إلا أنه شعر بالارتياج وتوقف عـن البكاء. سألته: "كيف يبدو رئيسك؟".

- ـ إنسانٌ عاديٌّ جداً.
- أنا واثقة من أنَّهُ ليس رجلاً عادياً... يجب أن تكون له شخصية معينة.
- نعم، توجد فوق فمهِ شامة بل ثؤلسول في الواقع. من الواضح أنه بينمسا كسان يحلق ذقنسه هذا الصبساح، جرحها، وكسان يلعقها بطسرف لسسانيه باسستمر اردون أنْ

يأخذ أيَّ اعتبار لوجودي.

_ هذا شيءٌ غيرُ لطيفٍ.

- إن الشامات إذا ما جُرحت تكون على درجة كبيرة من الخطورة، فهي تحدث السرطان... لهذا يجب على المرء أن يكون حذراً وهو يحلق لأن...

ـ بلا بلا بلا...



لا تسبر الأغوار كثيرا

كان بوسع "أجينز" أن توجّه لي تنبيها ما بدلا من أن تتركني هكذا، حتى دون أن تقصول لي إنها ذاهبة إلى الجحيم. إني لا أدّعي أني زوج مثاليٌ خال من العيوب. إلا أنها لو كانت قد أخبرتني عن سبب شكواها، لكنا جلسنا وبحثنا الأمر معا. لكن، لا.. لا.. أبدا، فخلال سسنتين من الحياة الزوجية لم تتنمر بكلمة واحدة. ولكن أن تنتهز فرصة غيابي في صبيحة أحد الأيام وتتسلل هاربة من البيت كما تتسلل أي خادمة بعد أن تجد مكانا أفضل للخدمة شيء لا يحتمل. وعلى الرغم من مضي ستة أشهر على مغادرتها المنزل، لا وليت لا أفهم السبب الذي دعاها إلى هجري.

في صباح ذلك اليوم، بعد أن قمت بشراء الحاجات المنزلية من السوق المحلية الصغيرة (فانا أحب أن أشتري المنزلية من السوق المحلية الصغيرة (فانا أحب أن أشتري الأشياء بنفسى: إذ أعرف الأسعار جيدا، وأعرف ما أريد، وأحب المساومة والمجادلة، ومعاينة الأشياء التي أود شراءها؛ فأنا من النوع الذي يريد أن يعرف ما الحيوان الدي ساتناول منه قطعة اللحم، ومن أي سلة خرجت تفاحتي)، وكنت قد عدث مرة أخرى إلى السوق لشراء ياردة ونصف ياردة من الأهداب الأخيطها على الستارة في غرفة الطعام. والني لم أكن أرغب في إنفاق مال كثير جُبت أماكن عديدة قبل أن أجد ضائتي أخيراً في محل صغير يقع في شارع ديل أوملتا. كانت الساعة تقارب الحادية عشرة والثلث عندما قفلت عائداً إلى

البيت. دلفت إلى غرفة الطعام كي أوازن بين لون الأهداب ولون الستارة. وعلى الفور، لاحظت على الطاولة محبرة وقلما ورسالة. إلا أن الشيء الذي لفت انتباهي من بين كل ذلك، وجود بقعة حبر على مفرش الطاولة. قلت انفسي: "بحق السماء، لماذا ينبغي أن تكون خرقاء إلى هذه الدرجة؟ .. فقد لوثت مفرش الطاولة ببقعة حبر ".

رفعت المحبرة والقلم والرسالة، وحملت المفرش و توجهت إلى المطبخ حيث أخذت أزيل البقعة بعد أن فركتها بقوة بقطعة ليمونة، ثم عدت إلى غرفة الطعام، وأعدت المفرش إلى مكانه، عندها فقط تذكرت الرسالة.. كانت موجّهة إليّ: "ألفريدو". فتحتها ورحت أقرؤها: "لقد نظّقت البيت. تستطيع أن تُعِدَّ طعام الغداء بنفسك، فأنت معتاد على ذلك. إلى اللقاء. سأذهب إلى بيت أمى". "أجينز".

للوهلة الأولى، لم أفهم شيئا، لكني أعدت قراءة الرسالة حتى أدركت فحواها تماما. ها قد ذهبت أجينز.. لقد تركتني بعد سنتين من الحياة الزوجية. وحسب عادتي، وضعت الرسالة في درج الخزانة، حيث أحتفظ بجميع الإيصالات والرسائل. جلست على كرسي إزاء النافذة ولم أكن أعرف بماذا سأفكر؟. إذ لم أكن مهيئاً لذلك، ولسم أكد أصدق ما حدث، عندما جلست وأخنت أفكر بالأمر، مطرقاً رأسي وأنا أحدق بالأرض، رأيت ريشة بيضاء صغيرة لا بدا أنها أحدق بالأرض، رأيت ريشة بيضاء صغيرة لا بدا أنها الغبار، أمسكت الريشة. فتحت النافذة ورميتها خارجاً. شم تناولت قبعتي وخرجت من البيت،

مشيت _ وأنا أقفز حسب عادة ذميمة لي بين كل حجرة وأخرى _ وأنا أتساءل، ماذا يمكن أن أكون قد فعلت "لأجينز" حتى تتركني بهذه الطريقة الفظة السمجة، وكأنها تتقصّد

إهانتي، في المقام الأول، تساءلت في قرارة نفسي: هل يمكن "لأجينَّز" أن تدَّعي أني لم أكن مخلصًا لها باي شكل من الأشكال حتى لو كان تافها. إلا أني أجبت عليى الفور: "لا، أبداً. إذ لم أكن أشعر أبداً برغبة قوية نحو النساء. فهن لا يفهمنني، وأنا لا أفهمهن ". وبوسعي القول إنه منذ اليــوم الأول من زواجنا، توقّف عندي وجودهنَّ تماماً، حتـــي إن "أجيــنز' كانت تثير أعصابي عندما كانت تسالني من حين السي آخر: "ماذا ستفعل إذا أحْبَبْتَ امرأة أخرى؟" وكنت أجيبُها: "إنّ هـــذا من ضرب المستحيل. فأنا أحبُّك، وسيبقى حبي لك ما حَيِيْتُ". الآن، وبعد أن قلَّبت ذلك في فكري مرة أخرَى بإمعان، تذكّرت أن كلمة "ما حييت" لم تكن تسعدُها، بل على العكس، كانت الكآبة تعلو وجهها وتلوذُ بالصمت. وعندما انتقلتُ السبي مجموعة مختلفة تماماً من الأفكار، انتابني قلق: فـــهل بمكـن أن تكون "أجينز" قد تركتني لأسباب تتعلّق بالمال؟ أو بسبب معاملتي إياها بشكل عام؟. إلا أنني وجدت أن ضميري مرتاحً لهذا الأمر أيضا. صحيحٌ أنى لم أكن أعطيسها مسالا إلا فسي حالات خاصَّةٍ، فما حاجَّتها إلى المال؟. لقد كنت أرافقها دومــــاً وكنت مستعداً دائماً للدفع. أما طريقة معاملتها، فالله يعلم كـــم كنت أعاملها بلطف، وبأمكانكم أنتم الحكمُ على ذلك: فقد كنا نرتادُ السينما مرتين في الأسبوع، والمقهى مرتين في الأسبوع، ولم يكن يهمُّ إن هي تتأولت مثلَّجاتٍ أو فنجانَ قهوة فقط، وكنتُّ أَشْتُري لها مجلَّتين مصوّرتين كل شهر، وجريدة يوميا. وفيي الشتاء كنا نذهب إلى الأوبرا. أما في الصيف، فكنا نقضي العطلة في منزل والدي في "مارينو"، حيث كسانت ضروب المتع والتسلية كثيرة ومتعددة. أما فيما يتعلّق بالثياب، فلا يحقُّ "لأجينز" أن تتذمَّر على الإطلاق، فكلما كانت تحتاج إلى

دائماً على أهْبَةِ الاستعداد. فقد كنت أصطحبها إلى المتاجر، وأساعدها في اختيار الأشياء وأدفع ثمنها دون تردد. وينسحب ذلك على الخيّاطة وصانعة القبّعات، ولم يحدث أن قالت لي مرة: "أحتاج إلى فستان أو قبّعة إلا جاوبتها: "هيّا. ساذهب معك". علاوة على ذلك، يجب أن أقر أن "أجينز" لمعن كن كثيرة الطلبات. فبعد السنة الأولى من زواجنا، كقت عن شراء ثياب جديدة. وكنت أنا الذي يذكّرها أنها تحتاج إلى كذا وكذا من الألبسة. إلا أنها كانت تقول إنه لا زالت عندها البسة من السنة الماضية، وأنها كانت تقول إنه لا زالت عندها جديدة، حتى أصبحت أفكر في نهاية الأمر، أنها تختلف في هذا الأمر عن النساء الأخريات، وأنها لم تكن ترغب كثيراً بارتداء ثياب أنيقة.

هكذا إذاً، يتبيّن لي أن الأمر لم يكن يتعلسق بالنواحي العاطفيةِ أو الماليةِ. ويبقى أمامي ذلك الشسيء السذي يطلق عليه المحامون: "عدم التوافق في المزاج"، وطرحست على نفسي السؤال التالي: "ماذا يمكن أن يكون هناك من أمور تدعو إلى عدم التوافق في المزاج، في حين لم يحدث بينسا خلال سنتين أيَّ نزاع أو شجارٍ. فلم نكن يفارق أحدُنا الآخر. ولسو كان ثمة شيء من عدم التوافق، لكان قد ظهر. غير أن اجينز" لم تكن تعارضني أبدا، بل يمكن القول إنها كانت صامتة على الدوام، ولم تكن تتكلم أبدا. فخلال تلك الأمسيات التي كنا نقضيها في المقهى، أو في البيت، لم تكن تفتح فمها، التي كنا نقضيها في المقهى، أو في البيت، لم تكن تفتح فمها، أحب أن أسمع نفسي، ولا سيما إذا كنت مسع أحب أن أسمع نفسي، ولا سيما إذا كنت مسع أن أتكلم، وأحب أن أسمع نفسي، ولا سيما إذا كنت مسع مسقة، معقولة، معقولة، متدفقة، ولا يوجد فيها ارتفاعات أو انخفاضات. وعندما أنطرق إلى موضوع ما، كنت أقسمه إلى

أجزاء من الأعلى إلى الأسفل، وأحلّه مسن جميع جوانبه، والموضوعات المحبّبة إليّ موضوعات منزلية: فأنسا أحب التحدّث عن ثمن الأشياء، وترتيب الأثاث، والطهي والتدفئة، وبشكل عام عن أي شيء تافه. وفي الواقع، لم أكن أمل أبسدا من التحدث عن ثمن الأشياء. كما أجد اهتماما كبسيرا فيها، من التحدث عن ثمن الأشياء. كما أجد اهتماما كبسيرا فيها، بحيث كنت أجد نفسي في معظم الأحيان، وقد بدأت مرّة أخرى نفس الحديث. ودعونا نكون منصفين. فهذه بالناكيد هي الموضوعات المناسبة للتحدّثِ مسع امسرأة. وإلا عسن مساذا سيتحدث المرء؟ على كل حال، اعتادت "أجينز" أن تنصت إليّ بآذانٍ صاغية سهذا ما كان يبدو لي على الأقل في مسرة واحدة فقط فيما كنت أشرح لها طريقة عمسل سحّان المساء، عطّت في النوم، أيقظتُها وسسالتُها: "لمساذا، هل تشعرين بالملل؟" فأجابت على الفور: "لا.. لا.. فأنا متعبسة، ولسم أنسم جيداً الليلة الماضية".

في العادةِ يمضي الأزواجُ أوقاتهم في مكاتيهم أو متاجرهم، أو لا يكون لهم شيئا ألبتَّة فيخرجون مع أصدقائهم لتمضية الوقت. أما أنا، فإن مكتبي ومتجري وأصدقائي لتمضية الوقت. أما أنا، فإن مكتبي ومتجري وأصدقائي هي "أجينز". إذ لم أكن أتركها وحدها لحظة واحدة، بل كنت أبقى إلى جانبها دائما ولعلَّ الدهشة ستنتابك حتى وهي تطبخ. إذ توجد لديَّ رغبة عارمة في الطهي. ففي كل يوم، كنت أضع مئزرا و أساعدُ "أجينز" في الطبخ، وكنت أقوم بمختلف الأعمال: فقد كنت أقشر البطاطا، وأمشط بمختلف الأعمال: فقد كنت أقشر البطاطا، وأمشط الفاصولياء، وأحضر المحشي، وأراقب القدور. لقد كنت أقدم لها مساعدة ممتازة بحيث كانت تقول لي غالباً: "انظر، إنك تفعل ذلك بشكل جيدٍ، إن رأسي يؤلمني، سوف أذهب وأستاقي قليلاً"، فأطهو الطعام بنفسي. كما كنت أجرب أطباقاً وأستاقي قليلاً"، فأطهو الطعام بنفسي. كما كنت أجرب أطباقاً

"أجينز" لم نكن نَهِمَة. فقد فقدت شهيتها مؤخراً، فبـــدَت غــيرَ راغبة في الطعام. ومرة قالت لي مطبعا على سبيل إنك حقا امرأة، ربة بيت حقيقية". ويجسب أن أعسترف أنسه يوجد شيءٌ من الحقيقة في ملاحظتها تلك، فبالإضافة إلى الطبخ، كُنت أحبُّ الغسيلَ وكيَّ الثياب والحياكة، بل حتى كنت أقوم في أوقات الفراغ بخياطة حوافِّ المناديل، كما قلت: لــــم أكن أتركها وحدها أبداً، حتى عندما كانت تأتي إحدى صديقاتها أو أمُّها لزيارتها. بل حتى عندما أدْخَلْتُ في رَّأسِها، لسبب أو كبيرة في تعلم تلك اللغة البالغة الصعوبة من أجـــل أن أبقــى قربها. لقد كنتُ شديدَ الصلّلة بها، حتى إني كنت أشعر بتفاهتي في بعض الأحيان، كما حدث في تلك المرة، عندما لم أققه شيئاً ممّا قالته بصوت خفيض، عندما كنّا في أحد المقاهي، فتبعنها مخصصة للنساء فقط ولا يمكنك الدخول". أه ..نعم، لا يمكن إيجاد زوج مثلي بسهولة. وفي معظم الأحيان، كانت تقول لى: "سأذهب إلَّى ذاك المكان للقاء فلان من الناس وأظـــنُ أنـــه لا يهمك أمر لقائه أبدا"، فأجيبها: "سآتي معك أيضاً، ففي جميــع الأحوال ليس لديَّ شيءٌ أفعله"، فتقول: " تعال، ولكن أُحــــدِّرُكُ أنك ستشعر بالملل". لكني لم أشعر قط بالملل. ثم كنت أقول لها بعد ذلك: "هل رأيت؟ فأنا لم أشعر بالملل". باختصار، كنا زوجين لصيقين لا ينفصلان أبدا.

بعد أن قلَبْتُ هذه الأمور في رأسي وأنا أتساءل عبثا طوال الوقت عن السبب الذي دعا "أجينز" إلى هجري، وصلت إلى دكان والدي ببيع أشياء مقدَّسة، ويقع متجره قرب ساحة منيرفا. إذ ما يزال أبي شابا، أسود الشعرر

أجعدَه، وله شارب أسود ترتسم تحته ابتسامة لم أفهم مغزاها طوال عمري. ربما لأنه اعتاد على التعامل مع القساوسة والاتقياء. فهو في غاية اللطف، هادئ ومتزن أما أمي، التي كانت تعرفه جيدا، فكانت تقول: "إن أعصابه مخبّاة في داخله". مررت عبر واجهة المحل الزجاجية الممتلئة بأردية القساوسة والأوعية المقدسة، وتوجهت مباشرة إلى غرفة مكتب أبي التي كانت تقع خلف المحل، وكعادته، كان يجري حساباته، وهو يعض شاربه واجما. قلت له وأنا منقطع الأنفاس: "أبي، القد هجرتني "أجينز". رمقني بعينيه وبدا لي انه يبتسم أسفل شاربيه. لكن لعل ذلك كان مجرد انطباع. قال: "أنا آسف . أسف جداً. ولكن كيف حدث ذلك؟".

حكيت له القصة بكاملها، وقلت له أخيراً: "طبعا، إني منزعج جدا لما حَدَث. إلا أنَّ الشيءَ الذي أريدُ معرفتَهُ أكثر من أي شيء آخر هو السببُ الذي دعاها إلى تركي؟؟".

سألني والحيرة بادية على وجهه: "ألم تفهم السبب؟".

_ لا

لاذ بالصمت لحظة ثم قال وقد أطلق تنهيدة: ""ألفريدو" أنا آسف، لكني لا أعرف ماذا أقول لك. إنك ابني، وأنا أساعدُكَ وأحبُّكَ كثيراً.. أما أمرُ زوجتك فهذا شائكَ أنت".

_ نعم ولكن لماذا تركتني؟.

هز و أسه وقال: "لو كنتُ مكانك لما نبشت كثيراً في هذا الأمر .. لا تسبر الأغوار كثيراً. دع الأمر وشأنه .. فماذا يهمك إذا عرفت السبب؟؟".

_ يهمني كثيرا.. أكثرُ من أيِّ شيء آخرَ.

في تلك اللحظة دخل قسيسان إلى المحل، فنهض والدي واتَّجه نحوهما وقال لي: "عُدْ فسي وقت آخر. سنتحدث بعدئذ..فأنا مشغول الآن". وأدركت عندها أنسي لا أتوقع أن

احصل منه على أكثر من ذلك وخرجست، لم يكن منزل والدة "أجينز" بعيداً، فهو يقع في شارع "فيستربو". قلست لنفسي: "إن الإنسان الوحيد الذي يمكنه أن يُميط اللنام عن سر هجرها لي هو "أجينز" نفسها". اذلك توجّهت إلى بيت والديها على الفور، تسلقت سلام العمارة جرياً، قرعت الباب، دُعينت إلى غرفة الجلوس، إلا أنه بدلا مسن أن تأتي الباب، دُعينت إلى غرفة الجلوس، إلا أنه بدلا مسن أن تأتي الجينز" جاءت أمها التي كانت تملك متجراً كذلك، لمم أكن أحبها أو أتحملها بشعرها الأسود المصبوغ، وخديها الورديين، ونظرتها وبسمتها الخبيئتين. كانت ترتدي مشلحاً وقد عقت على صدرها وردة. عندما رأتني قالت بدماشة على مدرها وردة. عندما رأتني قالت بدماشة مصطنعة: "اه.. "ألفريدو". ماذا تفعل هنا؟".

_ تعرفين سبب مجيئي. لقد تركتني "أجينز".

قالت بهدوء: "نعم، فهي هنا. يا عزيزي ماذا يمكن أن يُفعلَ حِيَالَ ذلك؟ فتلك الأشياءُ يمكن أن تحدث".

ــ ماذا؟ هل هذا هو الــردُ الوحيــدُ الــذي يمكنــكِ أن تقدميه لي؟.

رنت إليَّ بعينيها ثم سألتني: "هل أخبرت والدك بذلك؟".

ـ نعم أخبرته.

_ وماذا قال؟.

ما علاقتها بحق السماء فيما قاله لي أبي؟ أجبتها بالرغم مني: "أنت تعرفين طبع أبي.. فهو يقول إنه من الأفضل أن لا أسير الأغوار كثيراً".

ــ إنه محق تماماً يا عزيزي. لا تسبر الأغوار كثيراً.

قلت محتداً: "لكن، حقاً، لماذا هجرتني؟ ماذا فعلت لها؟ لماذا لا تقولين لي؟".

بينما كُنْت أَتحدَّث وقد اجتاحني الغضب، وقعنَ عيناي على الطاولة المغطَّاة بمفرش ذي قطعة بيضاء مطرَّزة، وُضعِ

فوقها، في الوسط، مزهرية ممتئئة بالقرنفل الأحمر. إلا أن القطعة المطرزة كانت منحرفة عن مكانها.. وبصورة آلية، دون أن أعي ما أقومُ يه، وفيما راحت تنظر إلى مبتسمة لم تجبني. رفعت المزهرية وركسزت القطعة في مكانها الصحيح. عندئذ قالت: "رائع".. لقد أصبحت القطعة الآن فلي الوسط تماما..لم ألاحظ ذلك، أما أنت فقد لاحظتها على الفور.. و الآن من الأفضل أن تغادر يا عزيزي".

آستوينا واقفيْن في لحظة واحدة. أردت أن أسال إن كان بوسعي أن أرى "أجينز"، لكني أدركت أن ذلك لم يكن مجديا، كما كنت أخشى أن أققد أعصابي وأتصرّف أو أقول شيئا غير لائق إذا ما رأيتها. خرجت من البيت ولم أر زوجتي منذ ذلك الحين. لعلها ستعود يوما، بعد أن تتأكّد أن الأزواج مسن أمثالي لا يتكررون في كل يوم. لكنها لن تطأ عتبة البيت إذا لم تشرح لي سبب ذهابها.



امرأة مشمورة

كان كلُّ شيء يسير على ما يرام. وققتُ في المطار على مسافة غير بعيدة من الطائرة، ورأيتُ المجموعة مقبلة نحوي. لم أرهم جيدا بسبب نور إفريقيا المبهر. فقد كان النور ساطعا إلى درجة أن الإفريقيين بدوا لي وكأنهم فيلة سوداء في مسودة فيلم.

أما الأوروبيون، فقد اختفوا بالفعل تحت وَهْيج أشعَّةِ الشمس الرائعة. غير أنني تمكّنت من تمييز الوزير الذي حيَّاني باسم دولتِه التي كنتُ أقوم بزيارتِها الذي حيَّان ثمّة ثلاثه منذ زمن وجيز في رحلة سياحية. وكان ثمّة ثلاثه مصورين، أو أربعة، واقفين، أو جاثين، وقد انهمكوا في التقاطِ صور لي، فيما راح صحفيان، أو ثلاثة، يسجّلون أجوبتي الهامة على أسئلةِ الوزير فيي

شم تقدَّمَت مني فتاة إفريقية صغيرة ترتدي زيّا أبيض، وقدَّمَت لي باقصة من الأزهار التي أخذت تذبل، وانحنت لي.

ورحت أصعد درجسات سلم الطسائرة ببطء كي أتيح للمصورين فرصة التقاط بسمتي المشهورة.

إلا أنني عندما أصبحت داخل الطائرة، تلاشت ابتسامتي بسرعة إلى درجة أن المضيفة، التي كانت تعرف جيداً

حقيقة الابتسامات الزائفة المتصنعة، انتابها الذعر وسالتني فيما إذا لم أكن على ما يرام.

هـزرت رأسي وجاست في المقعد المخصيص لي، بينما أخدنت الدموع تنهم من عيني بشكل لا إرادي، وبللت وجنتي. لقد اجتاحني شعور بالكآبة، وهو شعور كان قد بدأ يعتريني منذ ما لا يقل عن سنتين تقريبا.

ولكن هذا الإحساس بالكآبة يدفعني إلى عرض مفاتني بشكا أخرق يدعو للخجل، ولمحت بطرف عيني بنطال الرجل الأبيض السذي كان يجلس بجانبي، وكان هذا كافيا لأن يجعلني، وأنا أشد حول وسطي الحزام، أن أرفع قليلا تنورتي القصيرة جدا، كي يتمكن ذلك الرجل الذي أثار اهتمامي من القاء نظرة على ساقي الجميلتين.

وكان ثماة احتمال واحد مسن مليون أن هذا الرجل لا يعرف من أكون، واحتمال واحد من عشرة ملايين أني ساجده جدَّابا، غير أني لم أشا أن أجازف وأفقده. لهذا السبب، بدأت أكثف عن ساقي.

وإذًا تبيَّنَ لي مسن الناحية الأخرى، أنه لا يعدو واحداً من أولئك المعجبين العاديين المثيرين للاشمئز از الذين يتبعوني دائما _ فسيكون من لتبعوني دائما _ فسيكون من السهل عليَّ جدداً أن أمنعه من التمادي فيما لا أريد بأحد ردودي الحادَّة، اللاذعة، المعروفة عني.

انطلقت الطائرة واندفعت فوق المدرج. توققت. ثم بَدَأت محركاته استور بسرعة كبيرة. لم أستطع أن أمنع نفسي من إلقاء نظرة على يد الرجل الجالس

بجانبي وهي ممدودة على مسند المقعد، كانت يد شاب كبيرة وقوية، تميل إلى اللون الأحمر القاني أشبه بالدم.

كان لونا من نـوع خاص لـم أرَ مثله من قبل. غير أن كأبتى كانت أقوى من فضولى.

أجهشت في البكاء مرّة أخرى وأنا أتطلّعُ إلى اللوحسة المضيئة في الجانب الآخر من الطائرة: "الرجاء ربط الأحزمة وعدم التدخين".

وفجأة انطلقت الطائرة بسرعة فائقة، وما هي الالحظات قليلة حتى بَدورَها من الأرض، وراحت ترتفع في خط عامودي تقريبا صوب السماء.

وضعت بدي فوق يد الشاب كأنني خائفة. وما إن مربّت لحظات حتى الهنزيّت الطائرة هزيّة عنيفة، فانتهزت الفرصة ورحْت أضغط يدَهُ وأنا متشنّجة. استدرْت نحوه ونظرت إليه.

لم يخطئ حَدْسي: فقد كان هـو الرجـل الـذي أبحـث عنه. شابٌ، وسيمٌ، كأن لا ريب لا يعرف مـن أنا، وثمـة شيئان اثنان أثارا اهتمامي بصورة خاصّة، عيناه الخضراوان المترقرقتان، وكأنهما حُرمتا نعمـة النظر، وقد أعماهما ذاك الترقرق، والفرق بين لـون بشرته الفاتح جداً ويديه الداكنتين جداً.

نَظرَ كُلُّ منا إلى الآخر للحظاتِ، ثم قلتُ وأنا أجهشُ في البكاء، وقد سالت دمعتان على خديٌ: "إنسي أشعرُ بوحدةِ قاتلةِ".

أجابني باستغراب وقد افترّت شفتاه عن ابتسامة كشفت عن أسنانه البيضاء الحادّة كأسنان ذئب: "امرأة جميلة مثلك

وتشعر بالوحدة؟".

_ وحيدة لأنى جميلة.

_ غريبً كنت أظن أن الجمال يتيح فــرص اللقاءات و إقامة الصداقات و العلاقات الغرامية بسهولة.

- ـ نعم، لكن شريطة أن يبقى خارج السوق.
 - _ أي سوق؟.
- _ السوق الذي يُعرضُ فيه الجمالُ سلعة مثل أي شيء آخر.
 - _ ثم ما**ذا؟**.
- _ عندئذ لن تكون هناك لقاءات ولا صداقات أو علاقات غرامية تحتاج إلى أقل درجة من الاختيار والحرية والاستثقلال. فليس هناك إلا أساعار السوق المرتفعة أو المنخفضة.

_ وجمالك ... ألم يبق خارج السوق؟.

ألقى سُواله بلهجة بارعة لا تثير أدني شك وخالية من التصنع. إنه إذن لا يعرف من أكون، وبنفس مكلومة قلت: "لا، ... إن جمالي معروض في السوق منذ عدَّة سنوات، فأنا في الحقيقة ممثلة سينمائية مشهورة جداً، وأجري يُعَدُّ من أعلى الأجور".

_ حقاً؟

راودني شعور أنه كان يسخر مني، فقد كان في ابتسامتِهِ الماكرةِ الخبيثةِ، لا سيما في نظرته المترقرقة الغامضة، شيء يثير القلق. قلت له بثبات اسمى.

وعندما رأيتُ أنَّهُ لَم يَبْدُ عليه أيُّ تأثر أضفت: "لعلَّك لم تسمع باسمي قط؟" فأجاب بشيء من الارتباك: "لقد أمضيت عدة سنوات في منطقة شبة معزولة في إفريقيا. فأنا رحَّالة، وقد عشت ستَّ سنواتٍ في أحد الأصقاع البرية

من البلاد الممتلئة بالمستنقعات والغابات حيث تنتشر النباتات المتسلقة والحيوانات المتوحشة، ولم تكن تصلني أخبار من ... من العالم الخارجي، أما الآن، وما أن تطا قدماي أوروبا، فساذهب لمشاهدة أفلامك. ولكن لماذا تبكين؟".

هززت رأسي ولم أنيس بكلمة، لكني كنت لا أزال أضغط على يده. وسرعان ما هدأت.

ثم قلتُ له: "احكم بنفسك، لقد وُلدْتُ في بليدةٍ صغيرةٍ لا يتجاوز عددُ سكانها الخمسة آلاف، لاحيظ خمسة آلاف، إنه عددٌ لا بأس به.

وكان يوجد في البلدة نمسوذج واحدة من كل شيء: صيدلية واحدة. كنيسة واحدة، مكتبة واحدة، مقهى واحد، بائع تبيغ واحد، دار سينما واحدة، وهكذا دواليك.

وعندما بلغت الخامسة عشرة من عمري، كنت أعسرف الخمسة آلاف إنسان وكانوا جميعهم يعرفونني. وكنت أبادلهم التحية. وإذا ذهبت إلى السوق للتبضيع كان أصحاب المتساجر ينادونني باسمي، وأنا أناديهم باسمهم.

وكنت أعرف الفلاحين الذين يعملون في الحقول وهم يعرفونني جيداً. وأنا أعرفهم معرفة جسدية وردية.

وعندما أقول "جسدية" فإني أعني أن كل أولئك النساس كانوا يرمقونني بعيونهم، مرة على الأقل، وليس صورتي فقط. بلك كانوا يتطلعون إلى شخصيا بشحمي ولحمي كما كنت أنا أنظر إليهم. والآن دعنا نقفز عشر سنوات إلى الأمام، فأنا الآن في الخامسة والعشرين من عمري. مشهورة كما قلت لك، ومع ذلك فإن

شعوري بالوحدة في ازدياد، وأنا لست غبيسة، بل أعرف حقيقة الأشياء ولا أكف عن التفكير بهذه الوحدة. ويبدو لي انبي أعرف أعرف تفسير ذلك، إن سبب هذه العزلية يُعرزَى للى خطأ ارتكبته أنا، ولكن كيف بإمكاني أن أفسرة ?. إنه خطأ في الحساب.

كماً لو أنسي قلت لنفسي فسي بدايسة عملي الناجح، عندما كنت فتاة صغيرة مغمورة في بلدة ريفية كنت أعرف خمسة آلاف إنسان معرفة جسدية وعاطفية، ولكن عندما يعرفني العالم أجمع، ملايين وملايين من البشر، سيعرفونني جسديا وعاطفيا، فإن هذا سيدخل الديّفة والسرور إلى قلبي ولن أعرف الوحدة مطلقا".

-- بدلا من ماذا؟

— لقد كان خطأ كبيرا كما قلت لك. في الحقيقة فإن الشهورة تعني أن يكون المرء وحيدا. أن تكون مشهورا يعني أنك أصبحت معروضا في واجهة أحد المحلات. إذ ياتي الجميع وينظرون إليك خلل مرورهم بك، إلا أن أحدا لا يستطيع أن يلمسك ولا تستطيع أن تلمس أحدا. وأنا أعني فعلا اللمس، كما المس يذك الآن.

رنا إليّ بنظرة مُفعمة بالعطف، لكنه قال: "إن ذلك لا يهم، فأنت على كل حال مشهورة".

وهل تظن أنه أمر رائع أن تكون مشهور ١٩

_ إنه أروع شيء في الوجود، وأنا على استعداد لأن أفعلَ أيَّ شيءٍ كي أصبحَ مشهوراً، بل إني مستعد لأن أرتكب جريمة من أجل ذلك.

ــ ولكن ستصبح مشهوراً ليــوم واحــدٍ فقــط، ومــع

صدور طبعة صحف بعد الظهر ستتلاشى وتصبح في العَدَم.

_ ولكن ماذا يجعلك تظنين أنه يجبب علي أن أقتل إنسانا عاديا؟ بل يجب أن أقتل إنسانا مشهورا، وعندئذ ستنتقل شهرئه إلي ، فتصبح مُلكِي، تماما كما كان يسود الاعتقاد هنا في إفريقيا أنه إذا ما تنساول إنسان كبد عدوه فسيرث شجاعته.

انقطع الحديث بعد أن أخذت الطائرة تهبط في المطار، وفجأة، في اللحظة التي حطّت فيها الطائرة على الأرض وبدأت ترتج، ومحركاتها تهدر بقوة، أدركت أن الشاب قد نهض عن كرسيه واتجه صوب باب الطائرة، وشاهدته وهو يتقدم صفا طويلا من الركاب الذين أخذوا يتاهبون لمغادرة الطائرة، وكان يفصلني عنه ما لا يقل عن عشرين إنسانا، عندها أدركت تماما أنسي سافقده، لقد كنت وحيدة قبل أن أقابله، وساعود وحيدة الآن.

توجَّبهت إلى فندق من الدرجة الأولى فسي عاصمة الجمهورية الإفريقية الجديدة التي كنت بصدد زيارتها، وقدَّموا لي جناحا خاصاً: غرفة نوم، وغرفة جلوس وحمام.

وعلى المنضدة كانت توجد سلة ممتلكة ممتلكة اللهواكله الاستوائية وعليها قصاصة من الورق لم أفتحها لأني كنت أعرف محتواها سلفا: "مع أطيب تمنيات الادارة".

ارتديت السروب واتجهت نصو النافذة ورحست أتطلع منها. كانت النافذة تطلل على البحر الذي كان هائجا وهادرا، وبدا كانه يموج تحت وطأة الضوء المبهر،

مالئا السماء المدلهم بالضباب. وإزاء الفندق تماما، وعلى الطرف الآخر من الممر المهجور، كانت تُعَلَّقُ صورة كبيرة بحجم شاشة السينما، كُتِبَ اسمي تحت اسم الفيلم بأحرف كبيرة حمراء. وفيي زاوية اللوحة، كانت صورتي وأنا شبه عارية بين ذراعي رجل.

سمعت طرقا على الباب فقلت: "ادخا". وكم كانت دهشتى كبيرة عندما رأيت الشاب الدي كان يجلس بجانبي في الطائرة.

أغلق الباب وراءه. اتجه نحوي وضمني بين ذراعيه، لكنه لهم يقبلني، تراجع بضع خطوات إلى الوراء وقال: "لقد تظهاهرت أني لا أعرف من أنت؟ لكني أعرفك حق المعرفة. إذ كانت صورك تصلني إلى العيادة في مجلات كثيرة، وكنت دائما أقصها والصقها على جدران بيتي".

_ كيف وأية عيادة؟ ألم تقل إنك رحّالة؟ ألم تعش ست سنوات في منطقية نائية منعزلية ممتلئة بالمستنقعات والغابات؟.

ــ نعم هذا كان يقوله لي طبيبي أيضــا: إننـي رحالـة مختبئ بين المستنقعات والغابات، وأنه قد أن الأوان كي أخرج من مخبئي.

وعلّى الفور فهمت حقيقة مسا يجري ومسا سسيجري لي. هل كنت خائفة? لا ... ليس حقاً. لكنسي تظاهرت أنسي خائفة، ومسا أن تملّصنت مسن بيسسن ذراعيسه بعد أن أطلقت صيحة تَنِم عن الدُّعْر، هرعست إلى البساب. كنت أعرف جيدا أنه كان موصسدا، وأنه يخبّع المفتاح في جيبه. غير أنسي تظاهرت أنسي أدق على البساب بكلتا يسديّ. فأنسا قبل كل شسيء ممثلة، وقررت أن

verted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أموت ممثلة.

أطلقَ الرصاصة الأولسى علىيَّ، وأنها لا أزال واقفة إزاء الباب. التَّجهت نحو السرير وألقيت بنفسي فوقه كي أموت بطريقة تليق بي.

كنت أعرف أني أنزف دما كثيراً. أغمضت عيني. فتحتهما ثانية على الفور ورأيته ينحني فوقي ويحدق بي. شعرت بالحاجة إلى أن أقول له شيئا عاطفيا قبل أن أسلم الروح. دمدمت وأنا أنشج: "هل أنت راض يا ولدي العزيدز؟ فغدا ستصبح مشهوراً. نعم ستصبح مشهوراً في أرجاء المعمورة".



دعابات الطقس الحار

عندما يَحُلُّ الصيفُ يعتريني دائماً حنين للهروب، ولعلَّ سبب ذلك أنني ما زلت يافعا، ولم أتاقلم جيداً بعد مع الواقع بأننى أصبحت زوجاً وربَّ أسرة.

قفي الصيف، يُغلقُ الأغنياءُ نوافد بيوتِهم في الصباح كي لا تتسرَّبَ حرارهُ النهار، وفي الليلِ تَهُبُّ النسائمُ الباردهُ العليلة في تلك الغرفِ الفسيحةِ، حيث تتللاً المرابا والأرضيَّات المرمرية، والأثاث اللامع تحت الضوء الخافت. فكل شيء في مكانه الصحيح، وكلُّ شيء نظيف ولامعُ ومرتَّبُ. حتى الصمت يكون في هذه البيوت مريحا مثل النسيم العليلل وإذا ما شعرت بالعطش في جوفك، يحضر لك أحدهم شرابا مثلجاً لطيفاً أو عصير برتقال أو ليمونا في إبريقٍ من الكريستال فوق صينية، وأنت تسمع قطع الثلج الصغيرة وهي تتحرك وتصدر صوتاً بهيجاً منعشاً ينفسه.

أما في بيوت الفقراء، فإن الأمور تختلف تماماً. ففي أول يوم قائظ تهاجم الحرارة الخانقة غرقك الصغيرة الخانقة وتستقر فيها. وإذا ما رغبت في تناول شراب، ياتيك على الفور ماء دافئ أشبه بالحساء من صنبور المطبخ. أما في داخل البيت، فإنك تكاد لا تستطيع أن تتحرك: فكل شيء الأثاث، الثياب، أدوات المنزل يبدو منتفخ الحجم، ويُخيّل إليك أنه سيسقط على رأسك. والجميع يرتدون قمصانهم الداخلية العابقة برائحة العرق. وإذا ما أوصدت النوافذ، فانك

ستختنق لأن هواء الليل لا يتسرّب إلى هاتين الغرفتين أو الثلاث غرف حيث ينام ستة أشخاص، وإذا ما فتحتّها فستلفحك الشمس بلهييها الحارق، كأنك أصبحت تجلس في الشارع حيث ينضح كل شيء بالراوئح النتنة ورائحة العرق والغبار، وفي الجوّ الحارّ، يصبح الناس كذلك حارين، أي أنهم يصبحون ميالين إلى الشجار، إن الغني إذا ما أحس بوطأة الحرّ، انتقل إلى الطرف الأخر من بيته. أما الفقراء، فعليهم البقاء محشورين كعلب السردين، وسط الصحون والكؤوس المشخة الممتلئة بالدهون.

في أحد تلك الأيام القائظة، جرت مشادّة حادّة بيني وبين جميع أفراد الأسرة مع زوجتي لأن الحساء كان مالحا ويغلي غليانا، ومع ابن حمي لأنه وقف إلى صف زوجتي، ولأنه في رايي لا يحق له أن يفعل ذلك، لأنه عاطل عن العمل ويقيم عندنا، ومع ابنة حمي لأنها دافعت عني، مما أشار اشمئزازي لأني أعرف أن موقفها نابع من حبها لي، ومع أمي التي حاولت تهدئتي، ومع أبي لأنه أبدى اعتراضاً وقال إنسه يريد أن يتناول طعامه في سكنية وهدوء، بل حتى مع ابنتي الصغيرة التي انفجرت في البكاء.

وفجاة وتببت على قدميّ. أخذت سيترتي القابعة فوق الكرسي وقلت: "اسمعوا جيدا إلى ما سأقوله لكم. لقد سيمتكم جميعاً. إني ذاهب ولن أعود حتى تشرين الأول عندما يصبح الطقس باردا". وخرجت من المنزل محتدماً. وجرت ورائسي زوجتي، تلك العزيزة المسكينة، وراحت تناديني مسن خلف قضبان الدر ابزين، وقالت إنها أعدت لي طبقاً من سلطة الخيار التي أحبها كثيراً. قلت لها أن تأكلها هي، وهبطت الدرجسات بسرعة إلى الشارع.

اَجتزَت شارع "أوستينس" الذي نقيم فيه، وهِمُــتُ علــي

وجهي على غير هدًى، قادتني قدماي إلى جسر الحديد قسرب ميناء "روما" على النهر، كانت الساعة تشير إلى الثانية بعد الظهر، أي أكثر أوقات النهار قيظا، وكانت السماء زرقماء كالحة، كأنه قد وجهت إليها ضربة فأصيبت بكدمة، وكانت تنذر بهبوب رياح حارة.

عندما وصلت إلى الجسر، انحنيست فوق السور ذي الأعمدة الحديدية. كان القيظ لاهبا. وبدا أن التيبر المحصــور بين الأرصفة مثل مجار مفتوحة، وكان لونسه نفس لونسها الطيني. وحجب خسزًان الغساز السذي بسدا كسهيكل بنايسة محروقة، والمصاهر، وأبراج السلوات، وأنسابيب خزانات البترول، والسطوح المستدقة لمحطة توليد الكهرباء، حَجَبَت جميعُهَا الْأَقْقَ بحيث يخيل إليك أنك لست في روما، بل في إحدى مدن الشمال. وقفت لحظات وأنا أمعين النظر في نهر التيبر، ذلك النهر الصغير الأصفر، وكانت تقف إلى جانب الرصيف عوَّامة مُلِنَّتْ بأكياس الإسمنت. لم أتمالك نفسى من الضحك عندما خطر لي أنَّ هذا اللَّهَيْرَ يدَّعي أنه ميناءً مثلُّ موانئ "جينوة" و"تابولي" الَّتي تكتظ فيها السفُّن من جميع الأحجام والأنواع. وإذا أردت أن أهرب حقاً من هذا المينــــاء الصغير، فربما يمكنني أن أتوجه إلى "فويمنسسيوف"، حيث يمكنني الجلوس وتناول السمك المقلى وأنا أطلُّ على البحسر. عاودتُ السيرَ وعسبرت الجسسرَ ومشيستُ باتجاه الريف الممتد على الطرف الآخر من النهر. وبالرغم من أني كنـــت أقيم بالقرب من هذا المكان، إلا أني لهم آت قط السي هذه البقعة. ورحت أسير دون أن أعسرف وجهسة سيري. فسي البداية، سرت على طول الطريق الإسفلتي الذي كان يجتاز حقولاً جرداء تتاثرت فيها الأوساخ. ثم ينتهى هـــذا الطريسق الإسفلتي إلى ممر ترابيّ، حيث تزداد الأوساخ لتصبح أكواما

وتلالاً صغيرة. وأدركت أني جئت إلى المكان السذي يلقون فيه نفايات "روما". ولم يكن في تلك الحقول عُشْبَة واحدة؛ لا شيء سوى أوراق متطايرة، وصفائح صدئة، وجذوع الملفوف بالإضافة إلى نفايات أخرى سئلطت عليها أشعة الشمس اللاهبة، فأخذت تفوح منها الروائح النتسه الحامضة مثل رائحة الأشياء المتفسخة. شعرت بالضياع والحيرة، وشعرت أنه ليس لدي وغبة في المضي أبعد من ذلك، لكني لم أشا في الوقت نفسه أن أعود أدراجي، وفجأة سمعت صوتا يهمس: "بست، بست، بست"، كما لو كان أحدهم بنادي كلباً.

استدرت وتطلعت حولي باحثا عن ذلك الكلب، لكني لسم أجد أثراً لأي كلب، على الرغم من أن هذا المكان هو أفضل مكان لإقامة الكلاب الضالة. لذا ظننست أن أحداً ينساديني، فتطلعت نحو المكان الذي صدر منه الصوت. رأيست كوخا وراء أكوام النفايات. كوخا صغيراً مائلاً ذا سطح من الصفيح لم أكن قد رأيته قط. وكانت هناك فتاة صغيرة شقراء في حوالي الثامنة من عمرها، تقف عند مدخل البيست، وهي تشير إلي أن أدخل. نظرت إليها كان وجهها أبيض وسخا ذا بقع وردية تحت عينيها، كأنها أمرأة كهلة، وكان شعرها المزروع بالقش وقطع الطين منتفشا. كانت ترتدي ثوبا بسيطا: كيسا من الخيش ذا أربعة تقوب، اثنان عند ذراعيها، وآخران عند ساقيها. وما أن استدرت حتى بادرتني بالسوال: "هل أنت طبيب؟" فأجبت: "لا، لكن لماذا؟ هل أنست بحاجة إلى طبيب؟" فأجبت: "لا، لكن لماذا؟ هل أنست بحاجة إلى طبيب؟" فأجبت: "لا، لكن لماذا؟ هل أن تدخل. إلى مريضة".

لم أشأ أن أستمر في محاولة أني لست طبيبا، فدلفت إلى الكوخ. للوهلة الأولى، خطر لي أني دخلت إلى محلل لبيع الألبسة المستعملة في "كامبودي فيوري". كلان

معلقاً ومدلًى من السقف _ ثياب، كلسات نسائية أحذية، أدوات منزلية، قدور، مقلايات، أسمال بالية، لكن ... سرعان ما أدركت أنها ثيابهم، وهي معلقة على مسامير، ولم تكن توجد أي قطعة أثاث، وعندما كنت أتحرك في هذا الاتجاه أو ذاك، كنت أضطر لأن أحني رأسي كي أتفادى الأشياء المدلاة، وأنا أبحث عن أم الفتاة.

أشارت الفتاة الصغيرة بإيماءة مُخْتَلسَة، إلى كومة من الأسمال في إحدى زوايسا البيت. أمعنت النظر أكثر، وسرعان ما تبيَّنت أنَّ تلكَ الكومة من الأسمال كانت تحدِّق بعين واحدة متوهجة ... أما العين الأخرى فقد كانت تغطيها خصلة من شعرها الأشيب. لقد بهرني منظر المرأة، فقد بدت كانها امرأة عجوز، ولكني سرعان ما أدركت أنها كانت صبية في مقتبل العمر، وما إن وقع بصرها على حتى اندوت على الفور قائلة: "هكذا إذن!! فقدت عدت ثانية".

أطلقت الفتاة ضحكة عالية، كما لو كان ذلك بداية مشهد مثير للضحك، ثم قرفصت على الأرض، وراحت تلعب ببعض علب الثّنك الفارغة. "حقا إني لا أعرفك ...ماذا دهاك؟؟ هـل هذه الفتاة ابنتك؟" فأجابت: "طبعا إنها ابنتي. وابنتك أيضاً". ندت عن الطفلة ضحكة أخرى، ورأسها مطاطئ على الأرض. ظننت أنَّ الأمر لا يعدو كونه مزحة فاجبت: "ربما كانت ابنتي، ولكنها ابنة رجل آخر أيضاً". فقالت المرأة: "لا" ونهضت قليلا، وأشارت إليي بإصبعها وأضافت: " إنها ابنتك، وليست ابنة أحد غيرك ... إنك محتال، جبان، كسول، هذه هي حقيقتك".

عندما تفوَّهت بتلك الكلمات المهينة، أخذت الفتاة تضحك بملء فيها، كما لو كانت تتوقَع ذلك. شعرت بالإمعان في الإهانة، فقلت لها: "انتبهي إلى ما تقولين ... لقد

قلتُ لكِ إنى لا أعرفك".

_ أنت لا تعرفني هيه؟ إنك لا تعرفني ولكنك عدت برجليك ...لو كنت لا تعرفني فكيف إذا وجدت طريق هذا البيت؟.

راحت الفتاة تدندن لحنا بصوت منخفض: "محتال... محتال ... جبان". أخذ العرق يتصبب مني الأن وذلك بسبب الحرارة الخانقة ونتيجة شعوري بالارتباك.

قلت: "كنت ماراً بالصدفة". قالت: "آه ... نعم أيها الأحمق المسكين" والتفتت نحو الطفلة وقالت لها: "ناوليني الكيس"، وبحركة سريعة، أنزلت الفتاة من السقف حقيبة يد سوداء مخملية مهترئة، وقد علاها الغبار والأوساخ، وناولتها إياها فتحتها المرأة، وأخرجت منها ورقة وقالت: "هاهو صك الزواج ... "الفيرا بريوتي" و"إرنستو رابيللي" ... هل تصر على الإنكار يا "إرنستو رابيللي"؟".

أصيبت بالذهول لما سمعت فقد كان اسمي حقا "إرنستو". انتابني شيء من الاضطراب فقلت: "لكني لا أدعي "رابيللي"". وكانت الفتاة خلال ذلك تغني بصوت ناعم: "آه... لا؟ "إرنستو" إونستو". استوت المرأة واقفة. لقد كان حدسي صحيحا. فعلى الرغم من شعرها الأشيب وتجاعيدها وعدم وجود أسنان كاملة في فمها، كان من الواضح أنها لم تكن تتجاوز الثلاثيسن من العمر وقالت: "هكذا إذن فأنت لست "رابيللي"؟" وأسندت يديها على ركبتيها، ودَنت مني وأخذت تحدّق في وجهي، تسم يديها على ركبتيها، ودَنت مني وأخذت تحدّق في وجهي، تسم يانك "رابيللي"، أمام الله والناس، أقسم بانك "رابيللي"، أمام الله والناس، أقسم بانك "رابيللي"، فقلت: "فهمت الآن... إنك لست على ما يرام، السمحي لي فإني ذاهب".

_ انتظر لحظة ... ليس بهذه السرعة".

وفي غضون ذلك، كانت الطفلة ترقص حولنا، وكـانت

في غاية السعادة. استأنفت المرأة حديثها بنبرة ساخرة: "الرنستو" ... العظيم، الذي هجر زوجته، وهرب من بيته منذ عام ولم يعد حتى الآن ...ولكن هل تعرف بماذا كنا نقتات، أنا وهذه المخلوقة، خلال هذه السنة، خلال هريك؟".

قلت بفظاظة: "لا، لست أعرف، ولا أريد أن أعرف، دعيني وشأني". فقالت الفتاة بصوت طروب والفرحة تغمرها: "من الصدقات" واقتربتا منى أكثر وأكثر.

يجب أن أقرَّ أنَّ قلقاً شديداً أخذَ يجتاحني. جميع هذه الصدف _ اسم "إرنستو"، مغادرتي لبيتي، ووجود زوجة وطفلة عندي _ جعلتني أشعر شعورا غريبا، وهو أنسي لسم أعد أنا نفسي، ولكني في الوقت نفسه أنا لكن بطريقة لم القها. في غُضُون ذلك صرحَتْ المرأةُ في وجهي، وتحت أنفي تماماً بعد أن رأت التردد والقلق يعتريني: "همل تعرف أنفي تماماً بعد أن رأت التردد والقلق يعتريني: "همل تعرف ما مصير الرجال الذين يهجرون زوجاتهم وأطفالهم؟ السجن ... هل تفهم أيها الشرير السجن ...".

تملّكني الخصوف الآن، ودون أن أثيسس بكلمسة واحدة استدر ثن نحو الباب وهَمَمْت بالخروج، إلا أنسه كان هناك إنسان يتطلّع إلينا من عتبة الباب، امرأة، نحيلة، فقيرة، لكنها أنيقة في ملسها.

وبعد أن رأت أني كنت مرتبكا قالت بهدوء: "لا تُعِرْ هذه المرأة اهتماماً ... فهي تظنُّ أنَّ أيَّ رجل تقعُ عينها عليه هـو زوجها ... وهذه الفتاة القردة تستدرج كلَّ الرجال الذين يمرُون أمام المنزل، وهي تجدُ متعة فـي سـماعها وهـي تصـرتُ وقد اعتراها الجنونُ ... انتظـري حتـى أمسـكَ بـكِ أيتـها القردة المسخ"، ورفعت يدَها لتصفعَ الفتـاة، إلاَّ أنَّها أفلتَـتُ منها بسرعة، وراحت ترقـص حولـي وهـي تقـول: "لقـد منها بسرعة، وراحت ترقـص حولـي وهـي تقـول: "لقـد

صدَّقتَها أليس كذلك؟ ... صدَّقتَها ... لقد انتابكَ الخوفُ ... لقد دُعِرْتَ ... دُعِرِتَ".

قالت المرأة بهدوء: "ألفيرا"، هذا ليس زوجَكِ وعلى الفور، كانها اقتنعت بكلامها، عادت "الفيرا" وجلست القرفصاء في إحدى زوايا المنزل. أما المرأة الأخرى، فقد تركتني حيث كنت واقفا، وخرجت من الكوخ، وراحت تحررتك نسار الموقيد في الخارج، ثم قالت: "أنا التي أجلب لهما شيئا تقيمان أودهما ...إنهما حقا تعيشان على الصدقات، لكن روجها لم

كفاني ذلك. تناولت من محفظتي مئسة لير وأعطيتها للطفلة التي أخذتها دون أن تشكرني. غادرت الكوخ، وعدت أدراجي من حيث أتيت. مشيت فوق الممر الترابي، ثم علي الطريق الإسفلتي، وعبرت الجسر وعدت إلى شيارع "أوستنس".

بعد الحرارةِ التي لفحتني، داخلَ الكوخ، بدا لي عندما عدتُ إلى بيتي كأني أدخالُ كهفا بارداً. وبالرغم من قلّة قطع الأثاث في بيتنا، وبالرغم من شدَّة تواضعه، فقد كان أفضلَ بكثير من تلك المسامير التي كانت هاتان المخلوقتان التعيستان تعلّقان عليها أسمالهما البالية.

كانت الطاولة في المطبخ قد أصبحت نظيفة، وأخرجَــت لي زوجتي طبق سلطة الخيار، الذي خبَّأَتُهُ لي فالتهمثــهُ مـع قطعة الخبز. ورحت أرنو إليها وهي تقف وراء المجلى، تغسل الصحون والسكاكين والشوك، ثم نهضت وسرقت منــها قبلــة على مؤخرة عنقها وتصالحنا.

بعد عدَّةِ أيَّامٍ، حكيت لزوجتي قصة الكوخ، ثـم قـرَّرت العودةَ إلى ذلك المكان لأرى فيما إذا كان بوسعي أن أفعلَ شيئا تجاه الفتاةِ الصغيرةِ. ولم أخشَ هذه المرة أن تُطلِقَ عليَّ المرأةُ

اسم "أرنستو رابيللي". لكن هل تصدقون: فأنا لم أجد الكوخ أو المرأة أو الطفلة، حتى تلك المرأة النحيلة التي كانت تعد طعاما لهما. جلست هناك قرابة الساعة تحت و هج الشمس الحارقبين أكوام النفايات، غير أني عدت أدراجي مهزوما. كنت أقول إني لا بد أن أكون قد ضللت الطريق. بَيْد أن زوجتي تقبول: إني اخترعت هذه القصة نوعاً من تانيب الضمير بعد أن فكرات بهجرها.



اللعبة

كان الحَنَقُ يجيشُ في صدري والأسبى يعتريني، انتبدت ركنا في حجرةِ الجلوس، ورحْبَتُ أدخُن السيكارة يَّو الأخرى، وأنا أراقبُ ابنتي الصغيرة "جينفيرا"، وهي تلعبُ على السجادةِ بدميتِها بهدوء تام كان قد مضي على انتظاري ساعة كاملة، بعد أن انتظرتُ نصفَ يووم حلول هذه الساعة المصيرية. فقريبا، بل قريبا جدا، سيتحول وجود "رودلفو" من فرضيةٍ معقولة إلى أمل مجنون.

كانت المرآة أمامي تعكس صورتي المسرأة قد هدها القلق وأضناها الحسزن. بائسة ومنهكة: وجهة متغضن ساهم، وجنتان ناحلتان شاحبتان.عينان غائرتان في محجرين فارغين محمومين. فم معسدت بشفتين مبرطمتين متدليتين بقلق، وكان جسدي عبارة عن هيكل عظمي، مقوس، تصدر عنه حركات مفاجئة، كأنها لعبة مذعبورة. صورة المرأة أصيبت بالخزي لأنها حرمت من السعادة والنعيم، فبالله عليكم، ما أكثر ذلا من كلب يلوح بذيله وهو يجار ويتمسسح بقدمي سيدو؟ نعم، لقد كنت أنا لسوء الحظ هذا الكلب، خذوا مثلا "رودولفو"، انظروا كيف تمكن هذا الممثل، من الدرجة الثالثة، ذلك التعيس، الغبي، المدعي، الذي لا تلوح عليه أية مسحة من الجمال، من الإمساك بي من أنفي أية مسحة من الجمال، من الإمساك بي من أنفي

وراح يقودني أينما شاء ويفعل بي كما يحلو له.

كنت أجلس في أحد مقاهي المدينة. رأيت ... لـم نكـن نعرف بعضنا. راح كل منا يتطلع السـى الآخـر مـن فـوق فنجـان القـهوة. وضعـت فنجـان قـهوتي الفـارغ علـي الطاولة وتظـاهرت أنـي سـاغادر المقـهى. أطلق مـن خلفي صفرة. نعم صفرة واحدة، كما لو كان يصفـر لكلـب. أما أنا فقد أخذت على الفور أهـز نيلـي وأجار، وعـدت اليه لأتمر عند قدميه. وهكذا تـم كـل شـيء. فبعـد تلـك الصفرة، بدأت قصمة غرامنا التعيسة.

أما محنتي الأخرى، فهي تتمثل في كوني وحيدة في هذا الكون، فأنا أرملة، لا يوحد لديَّ زوجٌ يعتني بي ويشدُ من أزري. كما ليس لديَّ أصدقاء مين كلا الجنسين، ولا يوجد لي في هذا الكون سوى "جنفيرا"، ابنتي الصغيرة ذات السبعة أعوام.

آه يا للأطفال. هل أتحدّث عنهم. آه ... نعم ... دعونا نفضي بهمومنا حول الأطفال، هذا الموضوع الكبير الشائك والمعقد منذ أقدم الأقدمين، وإني لأتساءل: "مَنْ أوّلُ مَنْ قال إن الأطفال أبرياء؟ " أيا كان، فمن المؤكّد أنه ليم يكن يعرفهم معرفة تامّدة. انتبهوا إلى ما ساقوله، إنّ الأطفال كبارّ، ولكن مع وجود تلك المشكلة القائلة إنهم أطفال. أعنى: أنهم كبار، لأنهم يمتلكون نفس مشاعر الكبار، إلا أنّهم في الوقت نفسه، يتهرّبون مدن المسووليات التبي يضطلع بها هولاء الكبار بحجة أن أيديسهم التبي يضطلع بها هولاء الكبار بحجة أن أيديسهم وسيقانهم و أجسامهم و رؤوسهم، باختصار: تكوينهم الجسدي، لم تتطور و وتنم بشكل تامّ بعد. و هكذا، فبما أننا نشعر بذلك في قرارة نفوسنا، فهم كذلك تنتابهم المشاعر نفسها،

النصيحة أو المشورة أو المساعدة. لذلك، أودُّ أن أعرف ما فائدة الأطفال؟ وما السبيلُ إلى التعامل معهم؟.

فإذا ما قررت مثلاً، أن أتجاهل الأن أن "جنفيرا" لا تبلغ سوى سبع سنوات من العمر، لكان بإمكاني أن أبيها أسراري وأن أفضي إليها بمناييجيش في صدري وأحكي لها عن معاناتي وحَنقِي من سلوك "رودولفو". إذ لا بدّ أني ساشعر بالراحة إذا طلبت منها أن تأتي وتجلس بجانبي، وأن أحتسي معها شرابا، شيئا قويا - "كالفودكا" أو "الويسكي" - كي أحُلَّ عقدة اسانها، وأن أشعل سيكارة، بل أن نفتح علبة شوكولا جميلة، ثم نتجاذب أطراف الحديث أصدقاء حميمين، وأفضي اليها بمكنونات صدري، وأحكي لها عن كل شيء يتعلق "برودولفو" وبي، أن نتكلم بالتفاصيل الدقيقة، وأن نمحص نفسينا، وأن نوضح الفروق بينها، وأن نحرس عن كتب جميع الأخطاء التي بَدرَت عن "رودولفو" تجاهي، وأن نتطرق أخيراً إلى ذلك الموضوع تنفياً وأن نتطرق أخيراً إلى ذلك الموضوع الشائك والحسياس عن علاقتنا الغرامية.

وعندها تكون الغرفية قد غلّفها دخان السكائر، وأفرغَت زجاجة "الفودكا"، وفي النهاية ستغمرني الراحة والسعادة.

إلا أنّه لا يمكن عملُ شيءٍ من هذا القبيل، على الرغم من أني كنت متأكدةً من أن "جنف يرا" تعرف كلّ شيء عني وعن "رودولفو"، وأنه يجب علي أن أستمر" في تمثيل ذلك الدور الغبي عن الأمِّ الحنون العطوف. "لا يا "جنفيرا" ... لا تشدّي ساق الدمية المسكينة هكذا. إنك تؤلمينها. أيتها الفتاة الشقية، ماذا تقولين إذا قمن أنا أمُكِ بشد رجلك بهذه الطريقة؟ لكن ماما تحبُّك ولن

تفعلَ ذلك أبداً". وإلى آخر ما هنالك.

ملاحظات سخيفة لا يؤمن أحد منًا بها. ولكن قبل كل شيء، ويا لا عسرة، فأنا أم طيبة من الطراز القديم، ولا أريد أن أنسى أن طفلتى مازالت طفلة بعد.

جالت هذه الخواطر في رأسي. نظرت إلى ساعة الحائط، وأدركت أنه لم يعد ثمنة أمن بقدوم "رودولفو". كنان الغضنب يعتصرنني، أمسكت نفاضنة السكائر المرمرية ورميتها على الأرض، وبالطبع فقد تهشمت وتناثرت شظاياها.

رفعت "جنفيرا" رأسها قليلا وقالت بهدوء: "ما رأيُكِ في أن نلعب لعبة يا ماما؟".

رنوت اليها. إن "جنفيرا" بشعرها الأشقر الناعم ووجهها الأبيض وعينيها الزرقاوين، ما هي إلا ملك ولم تكن تحتاج الأ إلى جناحين من السكاكر. سالتها: "ما اللعبة با حبيبتي؟".

ـ ثم ماذا يا حبيبتي؟.

_ عندها سأقول لك الأشياء التي من المفروض أن أقولها لو كنت كبيرة مثلك، وستقولين لي الأشياء التي من المفروض أن تقوليها لو كنت صغيرة في مثل سني".

هانحن إذن: الألعاب، المورد الكبير، الزيسف الكبر، الريسف الكبر، المكر والحيال التي يمارسها الأطفال، فهم يقولون ويفعلون الأشياء التي يقولها ويفعلها الكبار، ولكن ذلك يتم ضمن إطار اللعبة، هال ترون مدى الخداع والنفاق؟ ... على كل حال، تظاهرت أني موافقة، وقلت لها:

"حسن ... هيا نلعب هذه اللعبة".

بهدوء وتأنّ، جلست قبالتي وقالت بصوت رفيع من المفترض أنه صوتي: "جنفيرا"، هل لك أن تقوليي لي لماذا تقومين دائما باعتراض سبيلي عندما ياتي "رودولفو" لزيارتي؟" ... طبعا انتهزت "جنفيرا" اللعبة لتذكر لي الأشياء التي تجول في خاطري، والتي لم يكن لدي الشجاعة الكافية للتفوّه بها. بدرت مني إيماء احتجاب الا أنّها قاطعتني قائلة: "تذكري أنّك أنا الآن يا "جنفيرا" وردّي على سوالي"، فأجبت بصوت رفيع: "ماما، إني أعترض سبيلك لأني أحبث بصوت رفيع: "ماما، بخبث: "هذا هراء. هذا ليس صحيحا، إذ أنك تعترضين بخبث: "هذا هراء. هذا ليس صحيحا، إذ أنك تعترضين أن بعدي "رودولفو" عنها وأن تأخذيه إليك".

كان ذلك صحيحاً، فقد كنتُ علَى قناعة أن "جنفيرا" كانت مفتونة "برودولفو" وإن كان ذلك بطريقة طفولية. لكن كيف أدركت أني أفهم هذه الحقيقة؟ بَيْدَ أنيي تظاهرت أن ذلك لم يكن يعني لي شيئا وأجبتها: "لكن من قال لك ذلك؟".

ـ أنا أقول ذلك، من الناحية الأخرى، فإن الشيء السذي لا ترينه هو أن "رودولفو" لطيف نحوك، ويحضر لك هدايسا كي تتركينا وشأننا في أمان وسلام، أو أنك نتظاهرين أنسك لا تفهمين. وبسبب ذلك، نضطر، أنا و"رودولفو" إلى الدخول إلى غرفينا، وإلى أن نغلق الباب على أنفسنا.

كان ذلك صحيحاً تماماً. فقد كنا نوصد الباب، وهذا من واجبنا. أما أنا فقد انتهزت بدوري فرصدة اللعبة كي أؤنيّها فقلت لها وأنا مزهدوي منتصدرة: "ومع ذلك، فإن ذلك لا يجدي نفعاً. إذ أبدأ بالدقّ على باب غرفتك

طوال الوقت، أو آخذ في الصُّراخ والعويال. وأدركت أن التأنيب هذا كان في محله، إذ أجابتني: "تستطيعين أن تفعلي ما يحلو أكد فأنت لا تشيرين إهتمامي بأي حال من الأحوال".

كنت لا أزال أؤدِّي دوري باخلاص، فقلت: "هل فلك حقا؟. إذن فأنا لا أعني لك شيئا يا ماما؟" فأجابت بمكر ودهاء: "ليس كثيراً، ماذا تتصورين؟ فلو كنت أعني لك شيئا ما، فلن أخيث تلك الجلبة مع "رودولفو" في الليل، وأنعته بكلمات قبيحة بصوت مرتفع، وأرمي أشياء على رأسيه، وألحقه إلى داخل غرفت كي الصغيرة للشجار معه".

وتابعَت ذكر حقائق مريرة . حاولت الدفاع عسن نفسي فقلت: "نعم، هذا صحيح . لكن من الصحيح كذلك أني قلت لك في إحدى المرات: أفضل أن أرى تلك المشاهد على أن أثرك في البيت وحيدة طوال الليل".

بداً أنها تفكّر، ثم قالت: "لا تقلقي، فمن الآن وصـاعداً، لن يكون هناك أية مشاهد من هـذا النوع. فلقد توصلّلت أخيراً إلى قناعة أن "رودولفو" لا يحبّني وقد توصلّلت إلى قرار أخير".

تطلّعت كلُّ واحدةٍ منا في وجه الأخرى، أثارت فضولي فسألتُها والقلق يعتريني: "وما هذا القرار؟". وحسنب اللعبة المبرمجة أجابت بحكمة: "لقد قررٌت أن أنتحرَ. سأذهب الآن إلى الحمّام، وسأخدُ زجاجهة الحبوب المنوِّمة الصغيرة وأبتلعُهَا كلَّها".

وعلى الفور، نسهضت من على كرسي الفوتيل، وهرعت إلى الحمام. تبعثها رأيثها تحرك كرسيبا، وتضعه تحت علبة الأدوية، صعدت فوقه، وأمسكت بزجاجة من ملج الحامض السبربتوري، نزلت عن الكرسي، فتحت صنبورا وملات كأسا من الماء، شم أفرغت فيه محتويات الزجاجية وقالت: "بَدَاْتِ الآنَ اللعبهُ تتغيرُ، عودي الآن كما أنتِ، وساعود كما أنا. ولنلعب لعبة حقيقية. هيا يجب أن تجرعي الكاس".

قالت ذلك بهدوء وبشكُّلِ مباشر وناولتني الكأسَ.

سعبدة

أحمر، أحمر، أحمر

ياله من يوم خريفي رائع من أيام "روما". خرجت من المنزل في صبيحة ذلك اليوم، وبدا لي الشارع المحفوف بالأشجار مزدانا بالأحمر والأصفر. أصفر من الأوراق المبعثرة فوق أرض الشارع الإستفاتية، وأحمر بسبب الأوراق التي ما زالت معلقة علي الأشجار، ومن ورائها بدت السماء الزرقاء. وكانت أشعة الشمس الدافئة المتلالئة تشيع فيوق تلك الأوراق. وفجاة شعرت بالسعادة تغمرني، نعم السعادة لأني جميلة، ولأني شابة، ولأني أتمتع بصحة جيدة، ولأني من شابة، مدني مرموق ومشهور جداً. كنت سعيدة بحيث أني عندما بدأت أقود سيارتي، ورحت أنتقل من شارع إلى عندما بدأت أقود سيارتي، ورحت أنتيان من شارع إلى آخر، خارج المدينة بدأت أدندن أغنية.

ولكني لدنتُ بالصمت بَعْنَة، وشعرت بقلبي يغوص في حنايا صدري، عندما لاحت لي لافتة عند مدخل شارع ريفي ضيق مكتوب عليها: "فيلا ميموزا ــ دار رعاية".

شعرت أني مَيْنَة أكثر مني حَيَّة. ركثت السيارة في الفسحة أمام العيادة التي بدت كأنها فندق عادي عصري، برواقه الناتئ، وأبوابه الزجاجية، وصفوف النوافذ الممتدة على الطابقين.

إلا أن الشيء الذي أثار فزعي، هو تلك النظرة المداهنة. لقد كان من المفترض أن أجد مشقى عقليًا حقيقيا، ذا

سعبدة

أحمر، أحمر، أحمر

ياله من يوم خريفي رائع من أيام "روما". خرجت من المنزل في صبيحة ذلك اليوم، وبدا لي الشارع المحفوف بالأشجار مزدانا بالأحمر والأصفر. أصفر من الأوراق المبعثرة فوق أرض الشارع الإستفاتية، وأحمر بسبب الأوراق التي ما زالت معلقة علي الأشجار، ومن ورائها بدت السماء الزرقاء. وكانت أشعة الشمس الدافئة المتلالئة تشيع فيوق تلك الأوراق. وفجاة شعرت بالسعادة تغمرني، نعم السعادة لأني جميلة، ولأني شابة، ولأني أتمتع بصحة جيدة، ولأني من شابة، مدني مرموق ومشهور جداً. كنت سعيدة بحيث أني عندما بدأت أقود سيارتي، ورحت أنتقل من شارع إلى عندما بدأت أقود سيارتي، ورحت أنتيان من شارع إلى آخر، خارج المدينة بدأت أدندن أغنية.

ولكني لدنتُ بالصمت بَعْنَة، وشعرت بقلبي يغوص في حنايا صدري، عندما لاحت لي لافتة عند مدخل شارع ريفي ضيق مكتوب عليها: "فيلا ميموزا ــ دار رعاية".

شعرت أني مَيْنَة أكثر مني حَيَّة. ركثت السيارة في الفسحة أمام العيادة التي بدت كأنها فندق عادي عصري، برواقه الناتئ، وأبوابه الزجاجية، وصفوف النوافذ الممتدة على الطابقين.

إلا أن الشيء الذي أثار فزعي، هو تلك النظرة المداهنة. لقد كان من المفترض أن أجد مشقى عقليًا حقيقيا، ذا

قضبان حديدية على النوافذ، وممرضين وممرضات يرتدون صداري بيضاء، أي أن يبدو كأنه سجن. دلفت السي السرواق كأني أدخل إلى بهو أحد الفنادق. وفي الزوايا كانت تجلس مجموعات من الناس على كراس أو أرائك، وهسم ساهمون واجمون لا يتكلمون أبدا. وتساءلت في قسرارة نفسي عن سبب عدم تحدّثهم بعضهم مع بعض. توجّسهت نحو طاولة البواب وسالته بصوت خائر عن "تانيا".

وبعد أن أجرى مكالمة هاتفيهة قصيرة قال لي إن صديقتي تنتظرني في الغرفة رقم 14، في الطابق الأول. فتوجهت نحو المصعد.

لا شك أنه كان للمكان أشر كبير علي وعندما بدأ المصعد يرتفع، اقتربت من المرآة ومددت لساني. يا له من لسان شنيع بشرع كبير، أحمر ومدبب لم أكن أتصور أن لي لسانا كهذا. بدأت أرسم على وجهي تعابير مضحكة غريبة. ثم سألت نفسي بصوت عال: "مَنْ أنت؟". توقف المصعد وفتِحَتْ الأبواب، خرجت ومشيت في الممر.

وصلت إلى باب الغرفة رقم 14. قرعت الباب وسمعت صوت "تانيا" تقول: "ادخلي". دلقت إلى الغرفة. كان الأشات من خشب الساج على النموذج السويدي.

كانت النوافد مغلقة، والمصباح على الطاولة الصغيرة بجانب السرير مضيء. كانت "تانيا" مستلقية على السرير بشكل عرضاني ولكن ما أن وضعت قدمي داخل الغرفة، حتى وتبت واقفة واسرعت ودفعت الطاولة ووضعتها وراء الباب، بدأ قلبي يدق بسرعة فسألتها: "لماذا تغلقين الباب؟"، فأجابت: "لأنه لا يوجد مفتاح".

رنوت إليها. ألقت بنفسها على السرير. كانت سمراء، طويلة، لدنة ممتلئك الجسم ولها وجه أشبه بوجه الدمية، وعينان بيضاويتان حلوتان، وقم جميل أيضاً. لم تتخيَّر كثيراً، سوى شحويها، وتلك النظرة المتسائلة التي بهتت وأصبحت مساكرة. شعرت بالإثارة. وما أن جلست على السرير حتى قلت: "لا بد أنك تمزحين؟ هل صحيح أنه لا يوجد مفتاح؟".

- ـ نعم، ويمكن لأي إنسان أن يدخل.
 - <u>و ... هل يدخلون؟.</u>

هزَّت كتفيها وقالت: "نعم يدخلون تحت ذرائعَ مختلفة. لكن لا تجعليني أقول ما لا أريد أن أقوله.

- ـ ذرائع؟ إذن فهم يدخلون لـ ... أسباب أخرى.
 - _ طبعاً، كلهم: أطباء، ممرضون، نادلون ...
 - ــ وأنت؟
- _ أدافع عن نفسي بقَـدْر ما أستطيع. في الليلة الماضية، رميت جـهاز التلفزيون على رأس نادل أراد أن يَدْخُلَ بحجة إحضار زجاجة مياه معدنية لم أكن قد طلبتها.

حرّكت عينيها بطريقة غريبة، وتابعْتُ حركــة عينيـها بقلق متزايد. وبصوت خفيض سألتها: "لكن قولــي لـي الآن، لماذا فعلت ذلك؟".

- _ فعثت ماذا؟
- _ لماذا تناولت ملح الحامض البربتوري؟
- ــ لأني لم أكن أرغب الاستمرار في العيش في عالم مثل هذا العالم.

لم يسعني إلا أن أوافق على ما قالثه. ثم ما ابثت أن قلت بسرعة محمومة : "صحيح، كيف يمكن للمرء أن يعيش

في عالم كهذا؟".

_ هذا ما أتساءله أيضاً.

وفجأة قُرعَ الباب. ازدادت "تانيا" شحوباً فدمدمت: "هـا هم قد جاؤوا".

<u>ــ من هم؟</u>

- زيارة الطبيب.

ومن خارج الباب سمعنا صوت رجل وهو يسأل بصوت عالى: "هل يمكنني الدخول؟" فأجابت "تانيا" على الفور وبحماس: "طبعاً لا، لا يمكنك". ولكن الصوت الذي كان ناعماً ولكن بلهجة أمرة قال: "طبعاً لا يمكنك" هذه للأخرين، أما لي "فيمكنك الدخول". وفي الوقت نفسه تحرك مقبض الباب، دفعه أحدهم، وتبّعت "تانيا" على قدميها، وذهبت ووقفت أمام الطاولة وحاولت دفعها بجسمها. وشيئا فترح الباب قلياد، شم، عبر الفرجة، دلف الطبيب والممرضة إلى الغرفة.

كان الطبيب رياضي الجسم، مربوع القامة، أسمر الوجه، صارم النظرة، حليق الشعر، عيناه بنيتان داكنتان، ذو أنف قصير، وشارب أسود كت وكان يرتدي صدرية بيضاء؛ إلا أنسي تخيّلته يرتدي سترة مسن المخمل وبنطالاً من قماش المتني وحذاء طويل الساق من نوع "ويلينغتون"، وإلى جانبه كلب وقد على على كتف بارودة ذات فوهتين. أما الممرضة ، فكانت شقراء، نحيلة، ذات وجه مستطيل. وعندما رأتهما "تانيا"، أبْدَت امتعاضا وركضت، شم القت بنفسها على السرير ثانية. مدّ الطبيب يدد القوية الغليظة، المكسوة بالشعر وقال: "هيا ... هيا ... لا تغضبي مني ... هيا التصافح مثل صديقين حميمين".

أدْعَنَتْ "تانيا" ورفعت يدها ببطء شديد وقد اعتراها المخوف، فأخذها الطبيب بشهامة وقبلها. قلت لنفسي إنه لو كنت مكان "تانيا" لقبلت أنا يد الطبيب. قدَّمْتُ نفسي بصوت متهدِّج وقلت: "اسمي "أليونورا". إني صديقة "تانيا". كيف حال "تانيا" الأن يا دكتور؟".

ــ إنها آخذة في التحسن. وقريباً ستعود إلى البيت. ولكن إذا تناولت حبتها الآن فسوف نرسلها إلى البيت قبل يوم مــن الموعد المحدد.

خلال ذلك، أشار للممرضة فتقدَّمت على الفسور وهسي تمسك بيدٍ كأسا من الماء، وباليد الأخرى حبة بيضاء كبسيرة. قالت "تانيا" بتصميم: "لن آخذ أية حبة".

ــ هيا هيا...

_ لا ... عندما أقول لا فأنا أعنى ما أقول.

أشار الطبيب إلى الممرضة. مَـدَّ يدة وأمسك وجه "تانيا" عند فكها بساصبعين فقط. استكانت تانيا وفتحت فمها، وارتسمت على وجهها تعابير غريبة. دفع الطبيب الحبة في فمها ودفق قليلاً من الماء. ازدرتها تانيا، ورأيت الحركة التشنجية لحنجرتها وهي تبتلعها. أرخى الطبيب قبضته. القـت تانيا نفسها على السرير، ودفنت وجهها في الوسادة، وأخذ الطبيب يمسد رأسها بطريقة أبوية متعاطفة. ثم استدار نحوي وقال: "إن صديقتك على ما يرام وستخرج قريبا".

ما أن أغلق الباب حتى رميست بنفسي على "تانيا" وقلت لها وقد انتسابني شيء من القلق: "لدي فكرة، فالطبيب يقول إنك على ما يسرام. إذن لماذا تبقين هنا؟ هاهي مفاتيح سيارتي. تظاهري بانك إحدى الزائرات. غادري الدار. اركبي السيارة وتوجّهي قبل كل شيء

إلى بيتي لتخبري زوجي. قولي له إني متوعكة وقد طلبت من الطبيب أن أبقى في المستشفى، وأنسي حجزت غرفة، وأنه يجب أن يأتي ويراني. لنقل إنسي سأبقى أربعة أيام أو خمسة أيام. أما أنست فاتركي السيارة عند زوجي وعودي إلى بينك كأن شبئاً لم يكن".

لو كثت قد رأيت "تانيا" عندئذ. فقد وتَبَات من فوق السرير فجأة وقالت: "موافقة. لكن يجب علي أن أحضر حقيبتي".

- لا تعبئي بحقيبتكِ. ساعمل علي إرسال أغراضك غدا لأني سابقى في غرفتك. اذهبي أنت وسأحلُّ مكاتَكِ.

لم تَثْيِسْ "تانيا" بشيء كسانت قد غمر شها السعادة والإشارة وقسالت: "إذن سادهب وأرتب نفسي قليلا. وسأكون مستعدة بعد قليل"، وعلى الفور دخلت السي الحمام من باب آخر.

لقُد تمَّ كُلُّ شيء بسرعة مذهلة. لم يكن لدي مسَّعة من الوقت لأفكِّر مليًّا في الأمر. ولكن ما أن دخلست "تانيا" الى الحمام حتى ثبنت السي رشدي بعد ردَّة الفعل تلك. حسن، سآخذ مكان "تانيا".

وفي الليل سيأتي الطبيب، وسيفتح فمي بإصبعه القوية ويرغمني على ابتلاع الحبة. وسيأتي إلى هذه الغرفة ويرغمني على ابتلاع الحبة. وسيأتي إلى هذه الغرفة التبي لا يمكن إقفالها، الممرضون والنادلون كذلك، وسيتذرعون بذرائع مختلفة وحجيج شنَّى. إن ذلك رائع، ولكن ماذا سيحدث بين "تانيا" وزوجي؟ إذ أن "تانيا" عازبة، وتعييش وحدها. إنها جميلة، ونزوائها الحسية معروفة، وببساطة أكثر، يمكن أن تُقنِع نفسها أن عليها إجراء تبادل من نوع ما "تاخذين مكاني في عليها إجراء تبادل من نوع ما "تاخذين مكاني في

المستشفى، وآخذ مكانك في بيتك انتبهي با حمقاء، ماذا تفعلين؟".

لم أتردد لحظة واحدة. سمعت "تانيا" تدندن أغنية وهي تضع اللمسات الأخيرة على زينتها في الحمام. مما لا شك فيه، فهي تهدف إلى جعل نفسها أكثر جمالا وإغراء من أجل لقاء زوجي، وتبست من فوق السرير، وتسلّث من الغرفة على رؤوس أصابعي، وبعد دقيقتين، كنت أجلس وراء مقود سيارتي، وبسرعة خرجت من فسحة دار الرعاية.

عسادت الأوراق الحمسراء علسى الأشجسار، والأوراق الصفراء على الإسفلت، وأشعسة الشمس الدافئسة وهي تتسلألاً علسى الأوراق ومن ورائسها بسدت السماء الزرقاء الصافية. وعلسى حيسن غِرَّةٍ، غمرتني السعادة. لأنني جميلة وشابة وأتمتَّعُ بصحة جيدةٍ، ولأنني زوجة مهندس مدنيٌ مرموق ومشهور جداً، وهو لا بدّ أنه ينتظرني الآن في البيت.



هفوتان

أنا وزوجي لا يُخبئ أحدُنا عن الآخر شيئا. ففي مساء كل يوم، وعند العشاء، يحكي كل منا للآخر ما حدث له خلال النهار. ونحن لا نفعل ذلك عن قصد، وبشكل مبرمج. فما دام الحب يجمعنا، ولا توجد أسرار نخبئها عن بعضنا بعضا، فإننا نفعل ذلك بصورة طبيعية دون وعي منا.

وربّما كنا نفعل ذلك للتعويض عن مدة انفصالنا اليومية النصاجم عن اختلف مهنتينا، فاقوم بتعريف زوجي بتفاصيل الحياة التي عشتها في ذلك اليوم وأنا بعيدة عنه، ويفعل هو الشيء نفسه. وما أن ينتهي هذا الحديث حتى تعود حيائنا كنهرين توأمين يتدفقان شم ينفصلان لمدة من الزمن، ثم يعودان ويلتقيان ثانية لتصبح > حياة واحدة.

اليوم. كالعادة، كنا جالسين على الطاولة. كان الجو حاراً، والباب الزجاجي المطل على الحديقة مفتوحاً على مصراعيه: ففي الليل يمكنك رؤية الظالم الذي يُخيِّمُ على أحواض الأزهار وقد تناثرت بينها أزهار باهتة نمت في الأيام الأخيرة هذه من شهر أيار. نظر زوجي إلى الأزهار، شم رنا إلي وقال: "أنت مثل هذه الأزهار".

_ ماذا تعنى؟ .

- أعني أنك تزهرين وتصبحين نضرة عند قدوم الربيع. إنك حقا "تزهرين" كما يقولون أو "مزهرة"، بل ناطرة كقصة الصبايا "لبروست". فاللون السوردي يكسو وجنتيك، والنور يُشعُ من عينيك، وشعرك الناعم صقيل براق، وأسنانك اللؤلؤية متلالئة، حقا، يود المرء أن يعسرف ماذا فعلت حتى أصبحت جميلة وسعيدة هكذا؟!!.

_ يا حبيبي، لم أفعل شيئا البتّة. لقد كان يوما عاديا _ أي أنه لم يحدث شيء جديد أو غيير عادي. يوم روتيني عادي تماما لا أكثر ولا أقل. قبل كل شيء ذهبت لزيارة "ديريس" التي فتحت محلها الجديد. عمل ناجح للخاية. لا شيء أمسامك سيوى البلاستيك والزجاج والفولاذ.

ما أن دخليت إلى المحل، حتى توجّهت فورا نحو "ديريس" وقلت لها إنيي أشعر بتعاسة شديدة، لأن ربيع السنة فاجأني، وليس عندي سوى ثيابي من العام الماضى.

كنت أشعر بالحرج عندما خرجت من البيت. هل تعرف ماذا فعلت "ديريس"؟ لقد طلبت مني أن أغلق عيني توجهت بي إلى أحد الأبواب ودفعتني داخل إحدى الغرف، ثم طلبت مني أن أفتح عيني ثانية. فعلت ذلك. ونتيجة شعوري نحوها بالامتنان طوقت هذراعي وعانقتها.

تصور. لقد كان يوجد على طاولة كبيرة أنواغ شتى من السراويل القصيرة والطويلة والفضفاضة. إلى جانب ذلك، وفي أرجاء الغرفة، كانت هناك ثياب لا حصر لها معلقة على مشاجب من كل الأنواع والأشكال. حقا

كدت أشعر بالدوار، وطلبت من "ديريسس" أن تتركني وحدي وبقيت في تلك الغرفة الكبيرة مدة ساعتين. وعندما انتهت الساعتان أعسدت ترتيسب خزانسة الملابس.

بعد أن حللت مشكلة الربيع، شعرت بسيعادة كبيرة تغمرني، فقد قمست بالزيارة التي طالما أجَّائها، ذهبت لزيارة "جورجينا" التي رزقت بطفل منذ شهر تقريباً. كانت وسط الحفاضات وزجاجات الإرضاع تجاذبنا أطراف الحديث، ثم غادرتها لأن موعد ارضاع طفلها قد حان، ونظراً لأن الساعة كانت السابعة، كان أزور أمامي ما لا يقل عن ساعة للتستع. خطر لي أن أزور معرضا فنيا في شارع "دل بابينو": توجَّهت إلى هناك، ووجدت معرضا شائقا جداً. فقد كانت تعرض فيه لوحات رسام لا أعرفه إلا من شكله. لكني لا أذكر اسمَه الآن، يجب أن تساعدني سشاب طويل أسمر، فو شعر طويل أشعث، وسالفتان طويلتان. في عينيه نظرة مترددة. رحت أنفرج على اللوحات لوحة لوحة.

وفجأة وصل الرسام ورحنا نتحدث، وبعد حديث متنوع قال إنه يود أن يهديني إحدى لوحاته، وطلب مني أن آتي بنفسى وأختار لوحة من مرسمه الذي يقع عند ناصيبة شارع "مرغريتا". وافقت لأنه كسان لا يزال أمامي مسع من الوقت، ولم أرغب فسي العودة إلى يزال أمامي متسع من الوقت، ولم أرغب فسي شارع "مرغريتا". البيت. وهكذا توجهنا إلى مرسمه فسي شارع "مرغريتا". صعدنا عدة درجات، وعبرنا فناء صغيراً. أرانسي مجموعة من الرسوم. وبالإضافة إلى هذا وذاك، مارسنا الحبّ. وبعد أن مارسنا الحبّ، كتب على اللوحة التي اخترتها كلمة إهداء رائعة حقا: "إلى "دانيا"، أجمل الجميلات، أهدي

أجمل لوحاتي"، ثم عاد معي إلى المعرض.

وبغتة، تذكرت أنسه كسانت توجد حفلة كوكتيل عند "لورينزا" في "جانيكولام". وتصادف أن الرسام (الذي لا أذكر اسمه، لكنه مكتوب أسفل اللوحة) ذاهب إلى ذلك الشارع أيضا، لذلك كان مسن الطبيعي أن أعرض عليه أن أصحبه بسيارتي. ذهبنا إلى "جانيكولام" يا له من جهد حيث كانت حركة المرور كثيفة بشكل غير معقول، واستغرق مشوارنا ساعة كاملة. عندما وصلنا، كان هناك حشد كبير من الناس فأضعته. ماذا كان علي أن أفعل؟ رحت أبحث عنه، ثم كففت عن ذلك وقلت في نفسي إنه لا بد أن يجد أحداً يوصله.

لم أعرف ماذا أفعل، فرحت أتحدث مع "بيترو" إنه "بيتر" ألا تعرفه؟ كان النهدل يمرون وهم يحملون الصواني. في البداية، احتسيت كأسا واحدا، شم كأسا ثانيا وثالثا. وفي النهاية، لن تصدّق ذلك، أصبحت ثملة، ولا أعرف حقا كيف قدْتُ السيارة وعددت أدراجي، لكن انتظر، أريد أن أريدك اللوحة. أريد أن أعرف رأيك بها. انتظر".

نهضئ وأنا مُفعمَة بالإثارة. دلفت إلى غرفة النوم بسرعة. كانت اللوحة ملفوفة وملقاة على السرير إلى جانب حقيبة يدي ومفاتيح السيارة. رفعت اللوحة ورحت أنزع الشريط المطاطي الملفوف حولها. توقفت فجأة تسمرت في مكاني. جحظت عيناي عندما أدركت أنني مدفوعة بالحميمة التسي تجمعنا، وشعور بالغبطة، ولعلي كذلك، لأني كنت ثملة بعد أن احتسيت الكؤوس الثلاثة أو الأربعة عند "لورينزا"، أخبرت زوجي صراحة

أني لم أكن مخلصة له، بــل أخبرتـه بكـل بساطة أننـي قمنت بخيانتِه.

وهجاة تذكّرت أنسي رأيت ذات يوم فسي باحسة المزرعة بالريف خنزيرة كانت تلتهم كلل شهيء تصادفه، وقد ألصقت خرطومها فهي الأرض. لقد التهمت خلل جولتها الدؤوبة جدع ملفوف ثم تفاحة تسم صوصا حديث الفقس وكان يصاصئ قبل أن يتلاشى في فمسها، ثم تفاحة أخرى، وجدع ملفوف أخرى، وقشرة بطيخة، وتفاحة أخرى.

لقد فعثت أنا ما فعثث تلك الخنزيرة تماما. فقد ذكر ثن شيئا غير ذي أهمية، ثم شيئا آخر، ثم قلت: إني مارست الحب مع رسام، ثم أضقت أشياء تافهة. قلت كل ذلك دون تمييز. لقد جعثت جميع الأشياء على مستوى واحد، مستوى الأرض، وأنا في حالية من النشوة وعدم التمييز وفي غمرة المودة الحميمية. لقد أعادت لي هذه الأفكار، ولسبب ما شجاعتي. هززت رأسي. رفعت اللوحة وعدت إلى غرفة الطعام.

كان زوجي قد أشعل لفافة خلال غيبابي. كمان يدخّن وعيناه مطرقتان. لم يكن من المهمّ فهم ما كمان يجول في خاطره. يقيت واقفة وفتحت اللوحة وأريتها له وسالته: "ما رأيك؟"، فقال: "لا بأس بها".

جلست ثانية. جاءت الخادمة وهي تحمل صينية وقدَّمَت لنا القهوة. ثم بطريق قلط طبيعية سالته: "وأنست ... ماذا فعلت اليوم؟"، أجاب على الفسور، كأنسه كان ينتظر هذا السؤال،: "كان يوما شائقاً ممتعا، وأيضاً طبيعياً جداً. ذهبت إلى المكتب، وعملت طول النسهار. وفي المساء، ذهب الجميع، وبقيت وحدي. وبما أن سكرتيرتي "فلسورا"، بقيت

في المكتب أيضا، انتهزنا الفرصية ومارسنا الحبّ. شم أتممت أشياء صغيرةً. وعندما همَ ست بالمغادرة، احزري من هنف لي؟ "توماسو". سالني فيما إذا كنا مشغولين هذا المساء، فقلت له إنه من الممكن أن نتقابل، بل وربما نذهب إلى السينما، هل أخطأت فيي ذلك؟". بغباء شديد اعتراني الفرغ. تأتات قائلة: "لقد أخطات خطياً

ــ لماذا؟ لأني ضربت موعدا مع "توماسو"؟ لا تقلقي من أجل ذلك ... ساهتف له الآن وأقول له إنسا لا نستطيع الذهاب.

ــ لا، لا ... بل لأنك خنتنــي مـع تلـك السـكرتيرة السوقيَّة.

تطلّع الواحد منا إلى الآخر للحظة، ثم انفجر زوجي ضاحكا وقال: "اصدقيني الآن ... هل صدّقت كلّ ما قلته لك؟".

_ صدَّقتُ ماذا؟.

- أني خنتك مع "فلورا". لكن هذا ليس صحيحاً. فقد غادرت "فلورا" المكتب مع الآخرين، ولن أحلم أبداً أن أمارس الحب معها. لا تقلقي. لم أخشك ولم أكن غير مخلص معك أبداً.

_ أما أنا فقد كثتُ غيرَ وفيَّـــةٍ. انزلقــت الكلمـــات دون وعي مني.

متى؟ وأين؟ وكيف؟ ومع من؟.

طرح هذه الأسئلة كلها دفعية واحدة وهو يرمقني بعينيه. لدنتُ بالصمت وأنا أحاولُ استجماعَ أفكاري، شم هُرعَ لمساعدتي وقال: "لقد حكَيْت لي ما جرى لكِ خلال النهار، ولم تذكري فيها أي خيانة. ولكن هذا يعني

انك لم تكوني وفية قبل اليوم. هيا اذكري لـــي بدقــة مـــي؟ واين؟ ومع من؟".

وفجأة فهمت. تلك الأسئلة التي أمطرني بها. تلك النظرة التي رمقني بها كانت تعني: "هيا طيبي نفساً القد كثت غير وفية وأنت في حالة شرود ... وأفضل أن أنظر إلى الأمر كأنَّ شيئاً لم يحدث. وأنا بدوري ساتظاهر أني كنت شاردا ولم أسمع أو أفسهم شيئاً الكنك إذا أصررتت على أنك غير وفيّة، فلن يبقى الأمر عند عند مجرد زلة لسان، بل سيكون أمرا جديا. لذا، اقبلي شرودي تماما كما قيلت شرودك. اتفقنا؟".

هزرت رأسي دون معنى تقريبا وقلت: "أنا آسفة، لقد قلتها دون أن أعنيها حقاً. لعلها كانت ناجمة عن شعور مباغت بالذنب الذي ... الذي جعلك تتصور أنك فعلت شيئا لم تفعله في الواقع".



لستر مثقفة

عندما أصر "توليو" على الهاتف أنه يجب علي أن أقرأ الكتاب عن حياة "تشي غيفارا". قلت له: "لقد بذلت جهدا كبيراً في قراءته، إلا أني لم أتمكّن من ذلك. فأنا لا أجد اهتماما بالسياسة، ولا بأمريكا اللاتينية ولا بحرب العصابات. فلماذ يتعيّن علي أن أقرأه؟". فسألني من الطرف الآخر من الخط: "هل يمكن لي أن أعرف بماذا تهتمين؟".

- ـ بمشكلاتي الخاصة.
- _ وما مشكلاتك الخاصة؟.
- ــ إن مشكلاتي هي مشكلاتي ولا دخل لأحد بها.

عندها ألقى على محاضرة كعهده وقال: "لا يوجد لأحدد مشكلات شخصية، فيما عدا المشكلات التي تتعلق بعمله، بمعنى آخر، المشكلات التي هي ليست مشكلات حقيقيدة. إن المشكلات التي المشكلات التي لا تكون ذات صبغة شخصية، أي المشكلات المتعلقة بسافن والسياسة والثقافة والعلوم وهام جرا ...أما المشكلات المتعلقة بالأشياء التي يهتم بها المرء لشغفه بالأشياء نفسها فيجب أن يسهتم بها دون أن يفكّر بالإفادة منها. إنك لا تهتمين بشيء إلا بنفسك، لذلك، لا يمكن أن يكون لديك مشكلات".

لسبب ما أحسست بالإهانة وأجبت: "أنست تتكلم معي بهذه الطريقة الدنيئة لأنك طلبت مني أن أنام معك ولم تفلح في ذلك، إلى اللقاء". وألقيت السماعة. ومن عادتي،

عندما أنزعج من أحد أصدقائي الكــــثر، أن أغلــق الســماعة في وجهه، ولا أقابله ثانية.

بعد هذه المحادثة الهاتفية، استدرت ورأيت أن أمي ترمقني بعينيها، وهي جالسة على الفوتيل تقرأ الجريدة. فأنسا وأمي نعيش معا، ومغرمتان ببعضنا، ونشبه بعضنا كثيراً. والفارق الوحيد هو أن أمي تكبرني بثلاثين عاما وفي الواقع، يمكن أن ثُعَدَّ أختين، واحدة كليلة واهنه والأخرى شابة نضرة. افترت أمي عن ابتسامة وسالتني: "وما مشكلاتك؟"، فأجبتها: "عندما كنت طفلة كنت غالباً ما أسمعك وأنت تقولين لأصدقائك على الهاتف: إن مشكلاتي لا تعني أحداً سواي. اغفري لي، لكني أخذت هذا التعبير منك لأنه ينطبق كذلك على. ما مشكلاتي؟ لا أعرف، لكني أتمتَّعُ بحيوية كذلك على. ما مشكلاتي؟ لا أعرف، لكني أتمتَّعُ بحيوية وأود أن أكرس هذه الحيوية للرجال".

_ كنت أعاني من المشكلة نفسها أيضاً.

ـ نحن لا نفهم بعضنا بعضاً. أنالا أقول "للرجال" بمعنى ممارسة الحب معهم، بل للرجال، أي الإنسان بشكل عام وعمل أشياء طيبة لهم.

وافقت أمي وقد افترات شفتاها عن ابتسامة (فالابتسامة لا تفارق شفتيها) وقالت: "لقد كانت مشكلتي، من الناحية الأخرى، كما تقولين الحب. ففي زماني كان الحب شيئا هاما جداً".

_ و هل تمكَّنتِ من حلِّ هذه المشكلة؟

ـــ لا. فقد تزوجت مرتين، وحَظيتُ بــــالثراء وبوضــــع اجتماعي مرموق، أما الحب فلا.

_ لماذا؟.

ــ لا أعرف لماذا. إن كلَّ ما أعرفه هو أن المرء يبدأ بمشكلة الحيوية التي كما تقوليــن يتمنــى المـرء تكريسـها

للآخرين، غير أن المرء، عوضاً عن ذلك، لا يوقَقُ في نهاية الأمر إلى حل أي شيء سوى المشكلة العملية. لقد كنت أبحث عن الحب يوما، ولكني حَظِيْتُ عوضاً عنه بالثراء. إنه ليس خطا أحدٍ. فالأمورُ تسير على هذا النحو.

اجتاحني فجأة غضب شديد، وصحت في وجهها: "أمّا ما يتعلّق في فإن الخطأ يقع عليك. لقد أسأت تعليمي منذ البدايسة. فلم يكن يوجد في هذا البيت كتساب واحد. فأنسا جاهلة لا أعرف شيئا. والأسوأ من ذلك، لا أجد قدرة في الاهتمام بسأي شيء، فأنا أمّيّة لا حول لسي ولا قوة، والخطا كله يقع على عاتقِك".

أجابتنى بهدوء تامِّ والبسمة تعلو شفتيها: "في زماني كانت الفتيات بنشأن ليجدْن أزواجاً جيدين. لم تكن الفتيات آنئذ يتحدَّثنَ عن دراسة الأشياء وسبر أغوارها. لقد قدَّمْتُ لك الثقافة التي كانت مطلوبة في ذلك الوقت".

ازداد غضبي استعاراً وصحت: "لا أريدُ أن أسبر أغوار الأشياء، إنك غبية، فأنا أريدُ أن أقوم بأعمال جيدة للإنسانية. إلا أني لا أستطيع أن أفعل ذلك، لأنك ربيتني بطريقة لم أعد أستطيع معها أن أبدي اهتماماً بأيِّ شيء سوى نفسي". فقالت بغضب: "لا تنعتى أمَّكِ بالغباء".

هزرت كتفي واندفعت إلى غرفتي، لبست جزمة طويلة وقفطانا شرقيا طويلاً. هرعت خارجة وأنا اصرخ: "أن أعود لتناول الغداء أو العشاء، بل ربما ساغيب طوال الليل، سأراك غدا صباحا". وبينما كنت أقود سيارتي الصغيرة عبر شوارع "روما"، رحت أفكّر فيما قالهه لهي "توليو" على الهاتف. لا ريب أنه قال ذلك بدافع من الانتقام لأنه لم يتمكّن من استمالتي لأنام معه. كما يعلم الجميع، فإن المثقف ينتقم من المرأة التي ترفضه بنعتها جاهلة، فهذا هو تفوّقه ينتقم من المرأة التي ترفضه بنعتها جاهلة، فهذا هو تفوّقه

الوحيدُ عليها. إلا أنَّه من الصحيح كذلك أنه قال أشياء صحيحة تماماً. إذ لم أكن أبدي أيَّ اهتمام في أي شيء، بسبب التربيسة الخاطئة الذي أنشأتني عليها أمي. ومع ذلك ... شعر ثت سفي بعض اللحظّات _ أنّي كنت أتمتع بنشاط وافر وحيوية رائعة، كما كنت أشعر أني أود أن أوظف هذا النشاط في خدمة البشرية. كيف يمكن تفسير هذا التناقض؟ وفجأة، وبينما كنت أفكّر بهذه الأمور، أجهشت في البكاء، وأخذت الدموعُ تنسهمر بغزارة وكأنها أمطار غزيرة تتساقط على لوح من الزجـــاج. وعلى الرغم من أن اليوم كان جميلا، والشمسُ ساطعة، لم أعد أرى أمامي جيداً بسب الغباش الذي سبَّبته الدموعُ المترقرقـــة في عيني. وشعَّلتُ مسَّاحاتِ الزجاج كما لو أن المطر هو الذي أحدث غباشاً، وليست عيني. وفي عمرة ذلك قلست بصوت مرتفع: "يا أماه، لماذا لم تجعليني أفهمُ أنَّ المشكلات الحقيقيــة ليست مشكلات حقيقية عندما كنت صغيرة؟". كما ترون، فإنه على الرغم من أني أغلقت الهاتف في وجه "توليو"، فقد تعلمت درسا جيداً.

قدّت سيارتي على طريق "آبيا"، ووصلت إلى فيلا الممثل المخرج الذي كنت أعمل عنده من حين إلى آخر (بالرغم من أني لم أكن بحاجة إلى نقود وذلك لأنسا كنا ميسوري الحال) بل كي أشعر بالاستقلال فقط. فقد كنت أظهر في بعض المشاهد عارية في أفلامه الخلاعية. وكنت في أحيان أخرى أطبع له نصوصا على الآلة الكاتبة (فأنا أحمل شهادة في الضرب على الآلة الكاتبة والاختزال) وكنت أشعر مع "بوب" وهو إيطالي ويدعى "روبرتو" بالأمان لأني أعرف أنه لن يحاول دعوتي للنوم معه أبدا، إذ لم تُثِر النساء أعرف أنه لن يحاول دعوتي للنوم معه أبدا، إذ لم تُثِر النساء أعرف أنه لن يحاول دعوتي للنوم معه أبدا، إذ لم تُثِر النساء أعرف أنه لن يحاول دعوتي للنوم معه أبدا، إذ لم تُثِر النساء

كان الطريقُ يمتدُ بين صقين من أزهار الدِّفلي، ثم ينفتح

على مرج واسع من الطراز الإنكليزي المحاط بأشجار السرو والصفصاف. وكأن في الوسط حوض سباحة على شكل قلسب أزرقَ اللون، وفي طرَّفه صخرة اصطناعيـــة كَانـــها شـــادُّلُّ طراز البيوتِ الريفيةِ الرومانيةِ. وأخذ يلوح لي مـــــن مســافة بعيدة رجل نو لحية لم أنمكن مــن تميــيزه جيــدا. ومــا إن اقتربت منه حتى غاص قلبي في صدري لسبب لـــم أعرفه، لقد كان هو "تشي غيفارا" ببيريته، بعينيه الباسمتين، لحيته الشبيهة بلحية المسيح، وقميصه وبنطالـــه الجيــنز. ترجُّلــتُ من السيارة وأنا مرتبكة. فتح "بوب" ذراعيه وقسال بصسوت مرتفع: "ألست "تشي غيفارا" بعينه؟ سيوف أمثيل وأصور فيلما عن "تشي"، لذلك يجب أن تقرئيي كل هذه الكتيب الستخلاص الأفكار الهامة فيها، ثم اكتبي لي تقريبرا مؤلفا من مئتي صفحة ، وسأقوم أنا بعد ذلك بكتابة موضوع منـــها. وسوف أطلق على الفيلم اسم "ناشساوزو" أي باسم معسكر "تشي". وسوف نصور لقطات الفيلم كله في "أبروزي"، ما رأبك في ذلك؟".

ثم توجه على الفور نحو طاولة صغيرة تحست الممر المسقوف، وحمل مجموعة كبيرة من الكتب بين ذراعيه، وتوجه إلى سيارتي ووضعها فيها بهدوء. سسالته وأنا في حيرة من أمرى: "ولكن ما هذا كله؟".

- هذه الكتبُ جميعُها تتحدث عن أمريكا اللاتينية.

ـــ لا أعرف شيئا عن أمريكا اللاتينية، أو عن أي شيء آخر. فأنا جاهلة، أمية.

ـ إلى أي مستوى وصلت في در استك؟.

ــ الثانوية:

ــ هذا أكثر من كاف. اقرئي الكتب واســتخلصـي منــها

مئتي صفحة دونني فيها جميع الوقائع الهامة. الوقائع فقسط... الزمن: شهر. المكافأة: مليون لير. والآن اذهبي لأني مشغول. إلى اللقاء أيتها الحلوة المحظوظة.

عُدْتُ أدراجي إلى البيت وأنا في حالة ذهول تام. وعلى الفور جلست إلى الطاولة . ومن الغريب أن "توليو" الدي أرادني أن أقوم بأشياء نتيجة حبي بها، لم يكن له تأثير علي، أما "بوب"، الذي أرادني أن أقوم بالشيء نفسه لأكسب قدرا من المال، تمكن من إقناعي وإخضاعي. لكن الذعر انتابني لجهلي، إذ لم أكن أعرف شيئا عن أمريكا اللاتينية. غير أنني مسا أن فتحت أول كتاب حتى سار كل شيء على نحو غير متوقع. لقد كان عقلي يعمل كأنه آلة صغيرة ومحكمة ونشيطة جدا، لكني لم أكن أعرف ذلك ... وعندما عكفت على العمل بهم ونشاطي، أدركت أن أسرار أمريكا اللاتينية السياسية والاقتصادية والاجتماعية واضحا كان كل شيء معدا من الوقائع. لسبب لا يمكن تفسيره، وقد يكون ذلك لأن أمريكا اللاتينية و "تشي غيفارا" لم يثيرا اهتمامي من قبل.

وهكذا عملت قرابة شهر يدأب مستمر، حيث أكبئت على الكتب الثلاثين التي أعطاني إياهما "بوب"، ورحت أطبع الصفحات بسهولة متزايدة وبفضول أقل وكنت كلما تقدمت في العمل، أصبح هذا العمل أفضل وقل اهتمامي به. وعندما أتممت جميع الوقائع، عدت بالسيارة إلى الفيلا حيث وجدت بوابات المدخل وجميع الأبواب مفتوحة، إلا أنه لم يكن يوجد أحد في الفيلا. كانت الشمس لاهبة، وصمت ثقيل يرين على المكان. وعلى سطح مياه حوض السباحة كانت تطفو ضفدعة مطاطية كبيرة خضراء وصفراء اللون. وضعت النص على الطاولة في مكان مرئي في غرفة الجلون. وضعت خلعت ثيابي وسبحت في الحوض عارية تماما. شم عدت

وارتديت ثيابي وقفلت عائدةً إلى البيت.

بعد مضي أسبوع تلقيت باقة من الورود ومعها مظروف داخله شيك بمبلغ مليون لير وقصاصة كتسب عليها كلمة: "رائع". عندها حملت الكتب الثلاثين التي تبحث في أمريكا اللاتينية بيد واحدة وفتحت الخزانسة والقيئها فيها بشكل فوضوي وفي اللحظة نفسها بدا لي أن ريحا هَبَّت على ذاكرتي وجرفت كل شيء كنت قد تعلمته خلال ذلك الشهر الذي كتبت خلاله المئتي صفحة "لبوب". وهكذا عدت إلى سابق عهدي: جاهلة، وأمية. لقد نسيت كل شيء فسي لحظة واحدة. جلست أمام الآلة الكاتبة، وضعت وجهي بيسن يدي واجهشت في البكاء.



مبردة من الغريزة

لم أتزوج في حياتي، لأني كنت أدرك منذ مدة مبكّرة جدا أنه من الأفضل للأشخاص الذين يفكرون دائماً بالحب من أمثالي، الابتعاد عن الزواج، فبدل أن أتزوج كما تفعلُ الكشيرُ من النساء، وكي لا أشغل بالي بالتفكير بالحب، قررت أن أعملَ مضيفة جويَّة كي يتاح لي العيش بصورة مستقلة، وأن أفكّر بالحب كما يحلو لي دون أن أكون مسؤولة تجاه أحد. أفكّر بالحب كما يحلو لي دون أن أكون مسؤولة تجاه أحد. وكان الخطُ الجويُ الذي أعمل عليه متجها إلى الشرق الأوسط. وكنت أصرف جُلَّ اهتمامي إلى عملي، وأؤدِّي جميع الأعمال الروتينية التي تؤديها أية مضيفة والبسمة تعلو وجهي: تقديم الوجبات، التأكّد من أن المسافرين يربطون أحزمتهم، وتقديم المساعدة للأمهات اللاتي تعترضهن أية مشكلات.

وكنت أفكر دائماً بالحبّ، سواء الحب السذي عشته أو الحب الذي سيدهمني مستقبلاً. بَيْدَ أن هذا لا يعني أني امراة ذات ذوق مختلط وغير محدد. بل على العكس، فأنا أكاد أكون مكبوتة تماماً. والسبب الذي يدعوني للتفكير بالحب باستمرار هو أني نادراً ما أحبَبْتُ أو أحبيبُ، وبالرغم من أني أصبحت الآن في الثلاثين من العمر، فلم يكن لي سوى علاقتين فقط. وللتعويض عن ذلك لم أكف يوماً عن التفكير في الحب.

في بعض الأحيان كنت أعزو عدم نمو غريزتي في الحب إلى العمل الذي اخترته، ويمكن أن أكون مخطئة. إلا أنني كنت أكثر ثقة بنفسي، قبل أن أصبح مضيفة. فقد جعلني

عملي مضيفة إنسانا لا جذور له. إنسانا لم يعد يعسرف أيسن وطنه، ونادراً ما يتحدّث بلغته، بل يمضي معظم أوقاته محلّقا فوق السحاب، في أعسالي السماء. أمسا إذا أردنسا أن تُحِبّ، وتُحَبّ، فيجب أن يكون لنا جسنور. فسالمرأة الريفية المتعلقة ببيتها ومزرعتها وحقلها تُحِبُّ وتُحَبُّ، شأنسها شسأن صاحبة المتجر التي تقضي وقتها بين منزلها ومتجرها. ساما في السماء، فكيف يمكن للمرء أن يصبح له جذور وهسو في السماء؟ له فلا يمكن لأحد أن يفعل ذلسك سسوى القديسين، الذين هم على النقيض منا، نحن الآثمين، لكن كم مسن قديس يوجد في هذا العالم؟.

قي إحدى الليالي كان علينا أن نمضي الليلة في بيروت. وبسبب تفكيري الدائم بالحب، قبلت دعوى للعشاء وجهها إلىي أحدُ الطيارين في مجموعتي يدعى "ماركو". وكنت قد قبلت الدعوة لأنه كان يلحُ في دعوته منيذ مدة طويلة. وقبلت الدعوة كي أكتشف فيما إذا كان يتمتَّعُ بالصفات التي تجعله كما يقولون: "الرجل الذي دخيل حياتي". وساصف لكم الأن "ماركو"، لا لسبب إلا لأنه سبكون الرجل المثالي عندي. فقد كان ماركو وسيما، ويتمتع بقوة خارقة. كان رياضيا ودمشا وفي الوقت نفسه فظا قاسيا وكثيبا، وعلى الرغم من كونه قوي البنية، فقد كان خجولاً. إذ كان يتلعثم ويتأتئ في اللحظات الحرجة، وهو شيء أحبه لأنه يمنحني شعورا باللطافة.

ذهبنا إلى مطعم من طراز شرقي، حيث يرتدي النادلون لباساً عربيا، كما كان مؤثثاً بأسلوب شرقي. جلسنا في فناء صغير تتوسطه بركة من المرمر وفيها نافورة مساء. طلبنا الأطباق الشرقية المعروفة، ثم بدأنا نواجسه احدنا الأخر. لقد كان موقفي واضحاً، فقد أتيت إلى هذا المكان لأسمع منه أنه يحبّني، بل لعله يود الزواج مني. ولكن لأن الأمسر كان

واضحاً إلى هذه الدرجة، اعتراني شعور" بالفزع. فنظراً لكوني مجردة من الغريزة الغرامية، ونظراً لأني أمتلك جسدا جميلا، كنت أتظاهر باستمرار، في مشل هذه المناسبات بالطرش، وأرفض التجاوب بأي شكل كان، ونتيجة استيائي الشديد من فكرة أن "ماركو" سوف يكشف عن سريرته ويوجه لي ما ندعوه بالسؤال الرئيسي: "هل أحبه حقا أم لا؟". رنوت إليه، وأدركت أن سيماء الحيرة بادية على وجهه، الأمر وكنت كلما أئعمت النظر إليه قلت درجة ثقتي بنفسي. قلت في سريرتي: "نعم، إنه هو الرجل الذي أبحث عنه، لا ريسب في ذلك". غير أني قلت من الناحية الأخرى: " لا .. لا ... إنه ليس هو ذاك الرجل الذي أبحث عنه، إنه الرجل الناسب، حتى أني لن أسمح لنفسي بالتحدث عنه الرجل المناسب، حتى أني لن أسمح لنفسي بالتحدث عن ذلك، ولا بد أن "ماركو" قد لاحظ شيئاً من ذلك، فسألني بصوت بالماس: "ماذا في الأمر؟ هل توجد مشكلة؟".

_ لا ... لا توجد مشكلة. لكن دعنا نتحـــدث ولا نبقـــى صامتين هكذا.

_ لديَّ فعلا شيءٌ أودٌ أن أقوله لك.

وفجأة انتابني الذعر "شيء واحد فقط؟ لكن لنتحدث عن أشياء كثيرة. حدثني عن مسقط رأسك. أين ولدت وكل شيء عن أسرتك".

و افق على مضض، وانتابني انزعاج لأنسي تصورت، لسبب ما، أنه ولد في قرية صغيرة، إلا أنه قال إنه ولد في "ميلانو" و أخذ يتحدّت عنها بطريقة مملة لا لسون فيها. وباختصار شديد، أخذ يحاول إفهامي، كأي رجل نموذجي يتفوه بكلمات قليلة، بأنه مغرم بي. و لإثبات ذلك، لم يجد وسيلة أفضل من التحديق بسي بنظرات مُقْعَمَة بكآبته العنيدة

وغبارته، وكان الغيسظ يمزقني وأنا أتعرض لنظراته المتواصلة. أحضر النادل حساءً فيه بلح البحر، حاولت فتح واحدة كانت لا تزال مغلقة. لم أفلح في مسعاي وانكسر إظفري. انفجرت غاضبة وقلت له: "هل ترى هذه الصدّفة؟ لقد جعلتني هذا المساء مثل هذه الصدّفة. مغلقة بإحكام مثلها. عنيدة مثلها.

_ لكن حقا، أنا...

_ حقا ... لقد دعوتني هذا المساء لتقول لي: إنك تحبني، لا تقل: لا .. فأنا أعرف. وكي تفهمني ذلك صوببت إلىيً نظراتك التي تشبه نظرات كلب ملسوع بالسياط، غير أن ذلك لن يجدى نفعاً.

_ ولكن ما الشيءُ الذي يجدي نفعاً؟.

_ طريقتك هذه في إفهام المراة أنك تحبها .

ـ أخبريني إذن ... كيف يجب عليَّ أن أسلك؟.

أطاقتُ صَحْكَةً قصيرةً نزقة.ولسبب لا أعسرف كنهه، قرر ثن أن أعلمه الشيء الذي لم أكن أعرف عنه شيئاً وقلست له: "دون نظرات، دون ابتسامات، دون ملامسة اليد، دون غزل، ومن يغازل في أيامنا هذه ؟ إنَّ ما يجب أن تهدف إليه هو أن تمارس الحب بطريقة حسابية.

بدا مندهشاً وراح يكرر: "ممارسة الحب بطريقة حسابية؟ ولكن كيف؟"، فأجبته: "إنه ذلك الحب الذي لا يمر في مرحلة النظرات والمجاملات والابتسامات وما شابه ذلك. إنه مثل تمرين حسابيّ: أحب هذه المرأة. إنها تحبني . يَتِم جمع هذين الحبين للوصول إلى النتائج، أي ممارسة ذلك الشيء الذي يجب عمله".

_ أي شيء؟.

ـ الشيء

وَجَم ساكنا. لا ريبَ أنَّه وجدَ موضوعَ الحبِ بطريقةٍ حسابيةٍ أمراً عسيرَ الفهم. أنهينا طعامنا دون أن نتحدَّثَ تقريباً. ثم قلت له بفظاظة: "إني متعبة". دفع الحساب وعدنا أدر اجنسا والصمت لا يزال يرين علينا، إلى الفندق الذي لم يكن يبعد عن المطعم. أخذتُ مفتاحَ غرفتي من موظف الاستقبال، وكانت علاماتُ الحَيْرَةِ باديةً على وجهي، حتى إنَّ موظف الاستقبال لاحظ تلك الحيرة التي شوَّهت معالمَ وجهي،

شعرت أنه يجب أن أضع "مساركو" تحت الاختبار، الاختبار الأخير، فدعوته لمرافقتي إلى غرفتي، في المصعد وققت وأسندت ظهري إلى الحائط، غير أنسي أصسرخ في أعماقي: "هيا تعال، امسكني، هيا ماذا تتنظر؟"، لكن شيئاً مسن هذا لم يحدث ...وكان ذلك أمراً حسنا لأني شعرت أنه إذا مسا أمسكني كما كنت أشتهي وأرغب فسيكون ردي الحتمي صفعة على وجهه.

توقف المصعدُ، خرجت وأنا أعض شفتي السفلى من الحنق، وتوجّهت إلى غرفتي مطرقة واجمة واجمة. رافقني ممارك". استدرت فجأة ووجدت أنَّ فمي يكاد يلامسس فمهُ. في النهاية ، تقابلت شفاهنا، ورحنا تُقبّل بعضنا. لم تكن القبلل من النوع الحارم، بل دون الوسط؛ لذلك كان لديَّ متسع من الوقت لأفكّر: "لا ... إنه الرجل المناسب، إنه بالفعل الرجل غير المناسب".

ثم افترقنا. نظرت من فوق كتف "ماركو" إلى طول الممر، وبالتحديد إلى النقطة التي كان يتقابل فيها المصعدان. احدهما المصعد الذي صعدنا فيه، وكان قد بدأ يهبط الآن، في حين كان باب المصعد الثاني مفتوحا، وكان ثمسة رجل واقف يتطلع نحوي. أدركت على الفور أنه كان يراقبنا ونحن نقبل بعضنا. كان رجلاً أشقر متوسط العمر، ذا شعر

قصير، وفي مقدمة رأسه غرة. كان وجهـــه أحمــر وعينـاه زرقاوان مع حَولٍ بسيطٍ. كان صئيلَ الجسم، لكنسه ممثلي، يرتدى بنطالاً أزرق وقميصا ذا أكمام قصييرة عليها شارة المرساة. لا بد أنه بحَّار. ولعلها للمرة الأولى في حياتي، ظهرت على حين غِرَّةِ الغريزةُ التي لم أكن أظنُّ أنسها توجلًد عندي. همست في أذن "ماركو": "هناك أناس"، يجلب أن تذهب الآن وسنرى بعضنا غداً". صافحتُهُ وكدنتُ أدفعه بعيداً. هُرعَ "ماركو" مبتعداً، ثملا بالسعادة. انحنيت قليلا لأولجَ المفتاحَ في ثقب الباب. لكنَّ يدي كانت ترتعس بسبب تلك الغريزَةِ النَّي تفجَّرَتُ أخيراً. لم أَتمكَّنْ من إدخال المفتاح، وشعرتُ في الوقت نفسه أنَّ البحَّارَ يدنو منسى من الخلف. قلت لنفسى: "أملُ أن يكون قد رآنا، وأن يَجِدَ في نفسه الشجاعة الكافية كي لا يحترمني". وعلى الفور انزلقت يد حمراء عليظة مكسوَّة بالشعر الأشقر فوق يدي. أمسكَت المفتاح، وأدْخَلَتُهُ بثباتٍ في تُقبِ البابِ، ودفعني الرجل إلى داخل الغرفة، أغلسقَ البابَ ورائي وأشعلَ الضوءَ.

حسابيًّ ... لقد تَمَّ كلُّ شيءٍ كما يتهم حسابُ تمرين حسابيًّ. ألا أني عندما رأيتُ الرجلَ ذا الغُرَّةِ الشقراء وهو يتقدم نحوي، ويداه ممدودتان للإمساك به ببنطاله الأزرق وقميصه المرسوم عليه المرساة، وقد علت وجهه ابتسامة كشفت عن أسنانِهِ تلاشت غريزتي تماما وصحت به: "لا تقرب مني".

كان واثقا من نفسه. هز رأسة وخطا خطوة إلى الأمام. ثم سرعان ما انسحب إلى الحمام حيث دخل بسرعة أمسك أنبوبة الدش وفتح الصنبور، ووج المساء المتدقق بقوة كبيرة إلى وجهه. كان فندقا عصريا، وكان الماء يتدقق بقوة كبيرة ومثل بحار حقيقي، معتاد على أمواج البحر، وقيف بثبات،

بوجههِ القرمزيِّ أمام الماء المندقّق، الذي أخد ينهال عليه بغزارةٍ. ثم خطا خُطوةً إلى الوراء، كأنَّه يطمئنني، تسم قال بالإنكليزية ببطءٍ وهدوءٍ: "أنا آسف ... ظننتُ...

فَأَجبته بالإنكليزية ليضاً: "لقد ظنئت أنه بإمكانك أن تضاجعني لأنك رأيت ذلك الرجل يقبّلني، أليس كذلك؟؟".

ــ نعم، ربما.

_ حسنٌ، ابتعد الآن. أخرج فوراً، وإلا صرخت...

ثم لا أعرف لماذا سألني عن جنسيتي. كنت لا أزال أرمقه، وأنبوب الدش في يدي وأجبتُهُ عن سؤالِهِ. فقال لي من باب اللباقة إنه يحب روما كثيرا، ثم انحنى قليلاً وخرج.

أصبحت وحيدة الآن. كان "ماركو" خجولاً وشاعرياً ولم أحبه، وكان البحار حسابياً ولم أحبه أيضا. وقفت أمام المررآة حدَّقت فيها وقلت بصوت عالى: "مجردة من الغريزة".



المسكين

لا يعرف الناسُ الشيءَ الكثيرَ عن أنفسهم، وعن الناس الذين هم دونَهم أو الذين يتفوَّق وَ عليهم. أما أنا فقد قطعتُ شأوا بعيداً في التفكير أني دونَ الجميع، فأنا لم أولد قوي الينية، بل يمكن القول إني وُلِدتُ هشا ضعيفا كالفدَّار، نعم، فأنا أحسَب نفسي هشا كالزجاج، بل حتى أرق أنواع الزجاج، وكان ذلك يجعلني أبغيسُ قدْرَ نفسي كثيراً.

وكنّت أخاطب نفسي قائلاً: "هيا عدّي صفاتي: القوة البدنية: صفر حفانا ضئيل الجسم، نحيف، رخبو المفاصل، مضعضع، وذراعاي وساقاي أشبه بالعيدان، فأنا مثل عنكبوت. الذكاء: أعلى من الصفر بقليل، وذلك فأنا مثل عنكبوت. الذكاء: أعلى من الصفر بقليل، وذلك لأني لم أتمكّن أبداً من أن أرقى فوق مستوى غاسل صحون في فندق. الشكل العام: أقل من صفر فوجهي ضيق ناحل أصفر، وعيناي بشعتان ليس لهما لون محدّد، وأنف يصلح لوجه أعرض من وجهي مرتين، فهو كبير وطويل، مستقيم، وينحدر نحو الأسفل، لكنه ياتف الي الأعلى عند التقرو كسحلية مرفوعة الأنف. أما الصفات الأخرى كالشجاعة والسرعة والجاذبية وخفة السروح حفمن الأفضل حقاً أن لا نتحدث عنها أبداً".

لذلك، كان من الطبيعسى، وبعد التوصُّل إلى هذه

الاستنتاجات، أني لـم أحـاول قـط التقـرّب مـن النساء. والمرأة الوحيدة التي حاولت مغازلتها والتقرب منها كانت خادمة في الفندق، أعادتني إلى رشدي علـى الفور بكلمة واحدة: "أيها المسكين". لذلك، أخذت تترسّعـخ لـديّ القناعـة أني لا أسـاوي شيئا، وأن أفضـل شـيء أفعله هـو أن ألوذ بالصمت، قابعاً في ركن من الأركـان لكـي لا يتعـثر أحد بطريقي ولا أتعثر بطريق أحد.

يمكن لأي عابر سبيل يمر في الشارع الواقع خلف فندق "روما" حيث أعمل، في الساعات المبكّرةِ من بعد الظهر، أن يرى صقا من النوافذ المشرعة على مستوى الأرض، تنبعت منها رائحة الغسيل.

وإذا اخترقت عيناه ذلك المكانَ المظلمَ، سيرى أكواما وتسلالاً من الصحون التي تصل السي السقف. تلك هي البقعة النائية من العالم التي اخترتها الأقبع فيها، والا أظهر إلى العالم.

لكن يا له من قدر عجيب غريب. فاخر شيء كنت أتوقعه هو أن يأتي أحد إلى تلك البقعة اللى ذلك المطبخ نفسه ويأخذ بيدي بغثة ويقتلعني مثل زهرة متوارية بين الأعشاب. لقد كان ذلك الإنسان هو "إيدا"، العاملة الجديدة في حجرة عَسل الأطباق، التي حلت مكان "جوديتا"، التي أخذت إجازة لتضعمولودا.

كانت "إيدا" بين النسوة، كما كنست أنا بين الرجال المرأة مسكينة ". فقد كانت ضئيلة الجسم، نحيفة، بادية العظام، غير ذات شأن. بَيْدَ أنها كانت مفعمة بالعاطفة، دائبة الحركة، مرحة، شيطانة.

وسرعان ما توطّدَت بيننا أواصر الصداقة، وذلك لأنه كانت تجمعنا عوامل مشتركة، ألم نقف أمام

الصحون نفسيها، ونغسل بالمياه نفسها؟.

ونجحت "إيداً" أخيراً في محاولاتها في استمالتي لدعوتها إلى السينما، وبالفعل، ومن باب التهذيب، دعوثها في أحد أيام الآحاد إلى السينما، وفوجئت، عندما أمسكت يسدي في الظلم الذي يغشى دار السينما وشبكت أصابعها الخمسة بين أصابعي، تبادر لي أنه يوجد خطا ما، وحاولت إفلات يدي منها، لكنها همست في أدني ودعثتي أن أبقيها كمسا هي، فما الضيرر في إمساك ودعثتي أن أبقيها كمسا هي، فما الضيرر في إمساك أبدينا؟.

وعندما خرجنا، قسسالت لسي إنسها كسانت تراقبني منذ مدة. منذ اليوم الأول السذي بدأت تعمل فيه في الفندق. وإنها منذ ذلك الحين، لا تفكّر إلا بي. وقالت إنها تأمّل كذلك أن أكون قد بَدَأت أكِن لها حبا، وذلك لأنها لم تعد تستطيع العيش دوني، كانت هذه المرة الأولسي التي تقول لي فيها امرأة، حتى امرأة مثل "إيدا"، شيئا من هذا القبيل، فطار صوابي وفقدت عقلي، وأجبتها على جميع الأسئلة التي طرحتها على بالإضافة إلى تساؤلات عديدة أخرى.

كانت الدهشة تتملّكني، على الرغم من أنها لم تكف عن القول إنها مولعة بي، فأنا لم أكن مقتنعا بذلك، لذلك، عندما كنا نخرجُ معا، لم أكن أتمالك نفسي عن اللهج بهذا الموضوع، فقد كنتُ أجدُ متعة فائقة وأنا أستمع إليها وهي تقول لي هذه الكلمات، لأني كنت أجدُ صعوبة في تصديقها. فكنت أقول لها: "قولي ليها الآن. أودُ أن أعرف ماذا تجدين في وكيف وقعت في حبي؟ وكيف وقعت في حبي؟ وهل تصدقين ذلك؟".

وكانت "إيدا" تتعلّق بذراعي بكلتا يديها، وترفيع وجها

رائعا نحوي وتجيب: "إني أحبك لأنك تمتلك جميع الصفات الرائعة.. إني أراك الكمال المتجسد الحيّ . وكنت أكرر دون أن أصدقها: "جميع الصفات الرائعة؟ لكني لم أكن أعرف ذلك من قبل". "نعم كل الصفات .. فقبل كلّ شيء أنت رائسع الجمال".

لم أكن أتمالك نفسي عن الضحك فأسالها: "هل أنا جميل؟ لكن هل نظرت في وجهي مليا؟". "نعم.. نظرت مليا، وإني أنظر إليك باستمرار ولا أتوقف عن ذلك". "ولكن مساذا عن أنفي؟ هل نظرت قط إلى أنفي؟". فتقول: "إن أنفك هو الذي أحبه بشكل خاص" ثم تُمسِكُ به بين إصبعيها وتهزه كانه جرس وهي تردد: "أنف .. أنف .. ولولا هذا الأنف لمسا كنت أعرف ما سافعل".

ثم تضيف قائلة: "فضلاً عن ذلك، فأنت شديد الذكاء". "ماذا؟ أنا ذكي؟ لكن الجميع يقولون إني غبي ". فتجيب بمنطق أنثوي "إنهم يقولون ذلك لأنهم يحسدونك، إلا أنك خارق الذكاء.. فعندما تتكلم أصغي إليك وأنا فاغرة فمسي .. إنك أذكى إنسان رأيته في حياتي".

وأستانف بعد دقيقة: "ولكنك لن تقولي إني قوي ". إذ لا يمكن الادّعاء بذلك". فتجيب بحماس: "نعم.. إنك قوي ".. قوي جدا جدا جدا الد كان ذلك حقا كثيرا، ولا أعود أتمكن من الردّ عليها فأمسك عن الكلام، إلا أنها تتابع قائلة: "بالإضافة إلى ذلك، وإذا كنت تريد حقا أن تعرف، فإن لديك شيئا أحبه أكثر من أي شيء". فأسألها على الفور: "وما ذلك الشيء.. أريد أن أعرف؟"، فتجيب: "لا أعرف حقا بماذا أجيب .. إنه عورتك .. تعابيرك .. الطريقة التي تتحرك فيها. وإني متأكّدة أن أحداً غيرك لا يملك ما تملكه أنست". بالطبع لم متأكّدة أن أحداً غيرك لا يملك ما تملكه أنست". بالطبع لم أكن أصدقها، وكنت أجعلها تكرر هذه الكلمات لأنها

كانت تُدُخِلُ السعادةَ إلى نفسي، خاصتَة أني أجدها تتعارض مع ما كنت أعتقده.

لكني يجب أن أقر أنه مع مرور الأيسام، أخذت هذه الأفكار تترسَّخُ في رأسي. وكنت في بعض الأحيان أقول لنفسي: "افترض أن ما تقوله لك صحيح". إلا أن ذلك لم يغير من قناعتي بما كنت أعتقد به، غير أن ملاحظات "إيدا" تركتني في حيرةٍ من أمري.

ففي تلك الكلّمة، أحسستُ أله يكمن اللغرز. فمن ذلك الشيء" أصبحت أعرف لماذا تحبُّ النساء الأحدب والأعرج والقزم والشيخ بل حتى الوحش .. ولكن لماذا لم يحبُّني أحدد أيضاً؟ إذ لم أكن أحدب أو قزماً أو مسنا أو وحشا.

قررنا أنا و"إيدا" ذات يوم الذهاب إلى سيرك كان قد نصب خيامه أمام ساحة "أركبولوجيكا". كنا نشعر بسعادة كبيرة، وعندما دخلنا إلى داخل الخيمة الكبيرة، جلسنا في القسم المخصيص للمقاعد الرخيصة. كنا ملتصقين، ونمسك أيدى بعضنا.

وكانت تجلس إلى جانبي صبية فارعة، شقراء، جميلة، وإلى جانبها من الطرف الآخر، كان يجلس شاب أسمر، ضخم الجثة تبدو عليه سيماء القوة، غليظ رياضي الشكل قلت في نفسي: "إنه زوج أنيق"، لكني سرعان ما نسيبه مماء ورحت أركّز اهتمامي على السيرك،

كانت ساحة السيرك المكسوة بالرمل الأصفر لا ترال فارغة. وعلى الطرف الآخر، كانت توجد منصئة تربعت فوقها فرقة موسيقية نحاسية برتدي أفرادها بدات حمراء. ولم تكف لحظة واحدة عن عزف أناشيد عسكرية، وبرز أخيرا أربعه مهرجين، اثنان منهم قزمان. كانت وجوههم بيضاء ويرتدون سراويل فضفاضة، وعلى الفور أخذوا يلقون النكات وراحوا

يصفعون ويركلون بعضهم بعضاً. فغشيت "إيدا" من الضحك حتى بدأت تقح وتسعل.

ثم بدأت الفرقة تعزف معزوفة حيوية معلنة عن بدء دور الأحصنة، فدخلت الساحة ستة أحصنة، ثلاثة مبرقشة بــاللون الرمادي والأخرى بالأبيض، وأخذت تــدور حـول الحلقـة. وكان مدربها الذي يرتدي بدَّة حمراء مذهبة، يقف في الوسط ويلسع بسوطه الطويل.

دخلت امرأة ترتدي تنورة من الحرير الشفاف وبنط الأ ضيقا أبيض. وراحت ترقص ثم أمسكت سر ْجَ أحد الأحصنة وأخذت تجري بجانبه، ثم تمتطيه وتنزل عنه، تصعد وتهبط، والأحصنة كلها تجري حول الساحة المستديرة، في البدء كانت تَخُبُ ثم أخذت تعدو، وعندما خرجت الأحصنة، عاد المهر جون وراحوا يقفزون فوق بعضه بعضاً ويركلون بعضهم بعضاً.

ثُم جاءت أسرة من البهلوانيين. أبّ وأمٌّ وطفلً صغيرً، كانوا يرتدون ثياباً ضيقة. صفقوا، ثم تعلقو وا بحبل ذي عُقد، وأخدوا يصعدون عليه حتى وصلوا إلى سقف الخيمة. وهناك بدأوا يلقون المراجيح التي أخذت تتارجح إلى الأمام والوراء، وكانوا حيناً يتعلقون بها بايديهم، وحيناً باقدامهم، ثم أخذوا يرمون الطفل بينهما كانه كرة.

قلت "لإيدا" وقد ملأني الإعجاب: "انظري .. كم أتمنى أن أكون بهلوانا .. أريد أن أرمي بنفسي في الهواء، ثم أمسك الأرجوحة بساقي ". أما "إيدا"، فقد اقستربت منسي وأجسابتني بلهجتها التمجيدية المعهودة: "إنها مسألة تدريب وممارسة وإذا ما تدرّبت فسيكون بإمكانك أن تفعل ذلك أيضاً".

نظرَتْ إليها الصبية الشقراء وهمست في أدن رفيقها

وشرعا يضحكان. بعد ذلك جاء دور الأسود. إذ دخل عدد من الشباب في معاطف حمراء وأخذوا يلقون السجادة التي كان يلعب عليها لاعبوا البهلوانيات، ثم حملوها دون أن ينتبهوا إلى أنهم لقوا داخلها أحد البهلوانيين. وعندما رأت "إيدا" الوجه الأبيض بارزا من طرف السجادة، كاذ يُغشى عليها من الضحك. وبسرعة خاطفة وبمهارة فائقة.

وضع الشبانُ قفصاً كبيرا من النيكال وسَل الساحة، ومسع قسرع الطبسول، ظهر رأسُ الأسدِ الأول الضخسمُ من خَلال باب صغير. ودخل خمسة أسُودٍ ولبوة بَسدَت في مزاج متعكَّر فراحـــت تــزأر. ودخــلَ أخــيرا المــروِّضُ. رجلً ضئيل، حسن الهيئة، يرتدي معطف الخضرر موشَّى بالذهب. وعلى الفور، انحنى أمام الجمهور، وأخذ يلوّ حُ وبإحدى يديسه سوط، وبساليد الأخرى بعصا ذات خُطَّآفٍ في طرفها. وراحبت الأسودُ تدورُ حواسهُ وهي تزارُ. وأخيرا توجَّه نحـو الأسود وراح يخزها بمؤخّرة الخُطَّافِ وأرغمها الواحدَ تلوَ الآخسرِ علْسَى الصعودِ علْسَى كراسٍ صغيرةٍ لا تلائسم إلا القطعه، وهي تسزأر وتكشُّرُ عن أنيابها. ثم مد أسدان أو ثلاثة أقدامَهم تجاد المدرب عندما مر قربها. همسَت "إيدا" في أدنيي: "ومساذا لو التهمَثُ أَيُّ كانت تتمسَّ فَ بذراع في بقوَّةٍ. وعندما قرعت الطبول، توجّه المسدرب السيّ أكسبر الأسسود سيسنّا والذي بَدا أنَّ النومَ قد غَلْبَ عليه، والسندي لسم يسزأر قط؛ وفتحَ فمَهُ، ووضعَ رأسَك داخله تسلات مسرات متتالية. قلت "لإيدا" في غمرةِ التصفيق الذي أعقبَ هذا المشهد: "لـــن تصدقيني .. إنّي أجد رغبة في الدخول إلى ذلك القفص واضع راسي في في الأسد أيضاً".. عندها انفجرت الصبيَّة والشاب الرياضي في الضحك وهما ينظـران إلينا.

هذه المرّة لم نستطع تجاهل أنهما كانها يضحكان عليها.. فاجتهاح "إيدا" الغضب وهمست في أذني: "إنهما يضحكان علينا.. لماذا لا تقل لهما: إنهما قليه الهذوق؟"، في تلك اللحظة نفسها، قُرعَ جهرس، ونهض الجميع كمه خرجت الأسهود وهمي مطاطئة المرأس عبر الباب الصغير، وهكذا انتهى الفصل الأول من العرض.

عندما غادرنا الخيمة، كان الشابُّ والصبيه يسيران أمامنا. وأخذت "إيدا" تلحُّ في قولها: "يجب أن تقول لهما: إنهما قليلا الذوق.. وإذا لم تفعل ذلك فإنك جبان". أثارت "إيدا" حمييتي وقرر رث أن أقترب منهما.

كانت خارج الخيمة الكبيرة خيمة صعيرة، جُعلت حديقة للحيوانات التابعة للسيرك. وعلى أحد جانبيسها، كان ثمّة صفّ من الأقفاص التي تضم حيوانات مفترسة، وعلى الطرف الأخر، كانت تمتد مساحة من الأرض معطّاة بالتبن كانت تسرح فيها الحيوانات الأليفة كالحمار الوحشي والفيلة والأحصنة والكلاب، عندما دلفنا كالحمار الوحشي والفيلة والأحصنة والكلاب، عندما دلفنا إلى الخيمة شبه المعتمة، رأينا الشاب والصبية وهما يقفان أمام قفص الدب، وكانت الصبية منحنية إلى الأمام وتتطلع الى الدب الذي كان مكوراً ويغط في سنبات عميق، وكان فروه الناعم يلامس القضبان، أما الشاب فكان يشدها من ذراعها.

توجُّهْتُ مباشرة نحو الشاب وبادرته بصوت ثابت: "قــل لى.. هل كنتما تضحكان علينا؟".

" التفت الشاب قليلا وأجاب دون تردد: "لا .. كنا نضحك على ضفدع يدّعي أنه تعلب".

_ أظن أنك تعني أن الضفدع هو أنا؟.

- ما دام الأمر كذلك فاقبل بالأمر.

كانت "إيدا" تدفعني إلى الأمام وهي تمسك بذراعي. أجبتُه بصوت عال : "هل تعرف من أنت؟ إنك لست إلا تافها وجاهلا". فرد بفظاظة : "هكذا إذن!! فقد بدأ الضفدع في النقيق، أليس كذلك؟".

في هذه اللحظة، أخذت المرأة تضحك. لكن "إيدا" قاطع أن بي بيد الله فحيح أفعى: "لا يوجد شيء سيء يستدعي الضحك .. ومن الأفضل لك أن تتوققي عن المتمسّج بزوجي .. هل تظنين أني لم أرك؟ .. لقد كنت تحقين ذراعك بذراعه طوال الوقت".

اعترتني دهشة كبيرة لأنسي لم انتبه لذلك. ففي أغلب الظنّ، أنها ربما مسّتني بمرققها لأنسها كانت تجلس إلى جانبي، فردت عليها الفتاة بسُخْطِ: "فتاتي العزيرة أنت مجنونة".

ــ لا أنا لست مجنونة. فقد رأيتك بـــام عينــي وأنــتِ تتمسحين به.

ــ لكن ما الذي يجعلك تظنين أني سأعير شخصا مسكينا مثل زوجك أيَّ انتباه؟.

قالت ذاك بازدراء شديد شم أضافت: "إذا كان علي أن أتمسع باحد ما، فسأختار رجلاً حقيقياً. أما زوجك فهو رجل وقق رؤيتك له فقط"، وأمسكت بنراع صديقها كما يفعل اللحّام وهو يرفع شريحة من اللحم ليعرضها على الزبون وقالت: "هذه هي النزاع التي سأتمست بها .. انظري إلىها ما أقواها!!".

وهنا تقدَّمَ الشاب مني وقال بلهجة توعديَّةٍ: "هذا يكفي.. هيا امض من هنا والأفضل لك أن تفعل ذلك".

صحت بنبرة ساخطة وقد وقفت على رؤوس أصلبعي

لكى أصبح قريباً من مستواه: "من قال لك ذلك؟".

أما آلمشهدُ الذي أعقب ذلك فلمن أنساه مما حييت إذ لم يجبني الشابُ بل أمسكني بكاتا ذراعيه بَعْتَه، ورفعني في الهواء مثل الريشة. وكما قلمت، فقد كمانت في الجهة الأخرى فسحة ممن الأرض مغطاة بالتبن حيث تسرح الحيوانات الأليفة. وكمانت تقف وراءنما مجموعة من الفيلة له أم وطفلهما المدي كمان بحجم حصمان تقريباً وكانت الفيلة تقمف في ركن مُعْتِم، وأكفالها ملتصقة بعضها ببعض. وهكذا رفعني ذلك البغل ملتصقة بعضها ببعض. وهكذا رفعني ذلك البغل الكبير ورماني فجاة فصوق ظهر الفيل الصغير، ولعل الحيوان حسب أن لحظة دخول ساحة السيرك قد حانت، الحيوان حسب أن لحظة دخول ساحة السيرك قد حانت، فاخذ يخب وأنا على ظهره، على طول الممر المحفوف بالأقفاص، أخذ الناس يتدافعون في كل المحفوف بالأقفاص، أخذ الناس يتدافعون في كل الاتجاهات، وكانت "إيدا" تجري ورائي وقد بدا عليها الرعب وهي تصر خ.

أما أنا فبعد أن فرشخت فوق الفيل الصغير، رُختتُ أحاول عبثًا إمساكَ أَدْنَيْكِ. وعندما وصل إلى نهاية الممر، انزلقتتُ عنده ووقعْت على الأرض، وأصيبت مؤخّرة رأسي بالأذي.

لا أعرف ما حدث بعدئذ لأني فقدت الوعسى. وعندما تبنت إلى وعيي ، وجدت نفسي في مركز للإسعافات الأولية، و"إيدا" تجلس إلى جانبي وتمسك بيدي. وعندما شعرت بالتحسن، عدنا إلى البيت دون أن نشاهد الفصل الثاني من العَرض.

في اليوم التالي قلت "لإيدا": "كان الخطأ خطأك .. لقد حشوت رأسي بهذه الأفكار، وجعلتني أظن في نفسي أموراً لا يعلمها إلا الله .. لكن تلك المرأة كانت محقة تماماً عندما قالت

إنى لست إلا رجلاً مسكيناً".

غير أن "إيدا" أمسكتني من ذراعي وراحت تُحدِّقُ بـــي وقالت: "لقد كنت رائعاً. لقد انتابه الذعرُ ولهذا الســبب ألقــى بك على ظهر الفيل. كم كنت رائعاً وأنت تمتطي ظهر الفيل، من المؤسف أنك انزلقت ووقعت".

هكذا إذا، فلم يكن ثمة فائدة. إذ كنت في نظر هـ شيئاً وعند الآخرين شيئا آخر. بَيْدَ أَنَّه يمكنكَ أَن تعرفَ ماذا تـرى النساءُ عندما يقعن في الحب.



المعتويات

5	– المقدمة
9	– المشى خلال النوم
17	 زوجتّی لا تقول 'لا، أبدا
29	– الرضيع
41	- اغتصاب
49	– الجمع والمفرد
57	– لا تسبر الأغوار كثيرا
67	– امر أة مشهورة
77	– دعابات الطقس الحار
87	- اللعبة
95	سعيدة –
103	– هفوتان
111	 لست مثقفة
119	 مجردة من الغريزة
127	– المسكين
139	- المحتويات















هو : ساحات روما ، التماثيل ، الصمت أكثر من البشـــر، ووحشـــة التاريخ تعبر في وجده، ليولد فيها عريقا معتقا . ومنذ أرضعت ذئبة روما الولد ، بدأ المهرجان ، كان لا بد أن

يعاند كل أثداء العالم ، وأن يبقى العطش للحليب الأول .

هي: لقد احتملت خياناته لي خلال السنوات الخمسس الأولى مسن زواجنا، لكني قررت أخيرا أن أنتقم منه . وعلى الرغم من أنسه كان بوسعي ، في كل حال أن أطلب الانفصال بشكل رسمي، إلا أن عيبا واحدا كان يحول دون ذلك ، فقد كنت أحبه ، وكلمساخاني أكثر ، ازداد حيى له اضطراها .

الناشــــر

